

الدكتور حنيفي هلايلي
استاذ التاريخ الحديث والمعاصر
جامعة سيدي بلعباس

العلاقات الجزائرية الأوروبية

ونهاية الأيالة

1830 - 1815

دار الهدى
عين مليلة - الجزائر

الدكتور
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
جامعة سيدي بلعباس

العلاقات الجزائرية الأوربية ونهاية الأيالة

1830 - 1815

كلية العلوم الانسانية والحضارة

الإسلامية

مطبعة الجرد

2009

سجل 06 ديسمبر

تحت رقم

816335

الطبعة الأولى

1428 هـ / 2007

كلية العلوم الانسانية والحضارة

الإسلامية

المركز

من 335

إلى 816335

2009

ديسمبر

06

في

دار الهدى

عين مليلة - الجزائر

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الرقم التسلسلي 114 - 2007 دار الهدى
المنطقة الصناعية ص ب 193 عين مليلة - الجزائر
الهاتف: 032 44 92 00 / 032 44 95 47
الفاكس: 032 44 94 18
www.elhouda.com
darelhouda@yahoo.fr

النجاح تجدد
إلى
دائرة إلكترونية
عامة

للطباعة والنشر والتوزيع

الجزائر
01 شارع أوراس بشير باب الواد
الهاتف: 021 96 62 20
الفاكس: 021 96 61 11

وهران

05 شارع زينود يوسف عمارة الحرية
الهاتف: 041 40 46 47
041 40 46 89
الفاكس: 041 41 56 54

الفروع

عين مليلة

الحي البلدي
الهاتف: 032 44 83 57
الفاكس: 032 44 92 67

فلسطينة

حي كوجيل لخضر جنان الزيتون
الهاتف: 031 92 22 08
الفاكس: 031 92 27 08

مختصرات البحث باللغة الأجنبية

Cahiers de Tunisie.
Revue Africaine, Alger.
Revue d'histoire Arabe des études ottomanes, Tunis.
Revue d'histoire maghrébine
Revue des études Juives

C.T.
R.A.
R.H.A.O.
R.H.M.
R.E.J.

مختصرات البحث باللغة العربية

خط همامون
وثائق الأرشيفات التركية
مجموعة الوثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني.
ع.ج.م.

أهداء

إلى اللذين اللذين اللذين وفناني إلى معتزك الحياة
بثقة واعتزاز

إلى من كان صدرها رجا.. لعزلي وودعتي مع
البحث... إلى زوجتي.

إلى ابنتي بشري سناء التي أرى في عيونها سعادة الحياة.

إلى ابني البار الأحمر المبهري

إلى كل اللذين في الوطن العربي، أهدي إلى أولئك
جميعا هزا العمل.

مقدمة

يهود لفورنة في خدمة حكام الجزائر من دايات ودايات مما جعل آخر الدايات يكلف اليهود بالإشراف على تنظيم المدفوعات الخارجية وتسييرها. واستطاع اليهود من استغلال الأزمات المالية التي كانت تمر بها حكومة الدايات، فيقوم الدايات باقتراض الأموال من اليهود مقابل ترضيات معينة، تتخذ شكل احتكار تجارة بضاعة ما.

بناء على هذا، لا داعي إلى الاستغراب إذا رأينا أيلة الجزائر تسقط هي الأولى تحت نير الاستعمار، إذا كانت سلطة الداي تمثل أحسن تمثيل تلك الفجوة التي طالما أشار إليها بعض الباحثين والتي فصلت منذ عقود في بلاد المغرب بين الدولة والمجتمع أو بين نظام الحكم والقاعدة الإنتاجية.

وعلى هذا النحو فقد الجيش أهميته بسبب الثورات وتحكم اليهود في المنافذ المالية، وضعت الأسطول مقابل التقدم التكنولوجي الذي شهدته أساطيل الدول الأوروبية، مما سهل على فرنسا نجاح حملتها على الجزائر سنة 1830م.

يتضح مما سبق أن موضوع: نهاية أيلة الجزائر في إطار علاقاتها مع الدول الأوروبية مازال في حاجة إلى مزيد من الدرس والتعميق، لأن الدراسات المتوفرة ناقشت الإشكالية من زوايا تخصصها. نهدف بهذه الدراسة إلى الوقوف عند بعض المفاهيم والمظاهر من أجل تمحيصها وتلقيها بمقاربة تاريخية، لماذا تمكنت أوروبا من الإقلاع في العصر الحديث؟ في حين لم توقع الجزائر في محولاتها التحديدية والتحديثية خلال الفترة المدروسة؟ ما هي العوامل التي حالت دون إقلاع الجزائر والتي كانت سببا في تجاوز أوروبا لنا؟.

إن تراجع هيبة الأتراك العثمانيين قد تزامن مع انتهاء الوجود الإسباني، وعودة وهران نهائيا إلى أيلة الجزائر بعد أن ضربها زلزال عنيف أتى على معظم مبانيها سنة 1792م. وزاد الوضع تعقيدا أن فرنسا الدولة المرشحة لاستلام إرث إسبانيا لأسباب دينية (وحدة المذهب الكاثوليكي) وعائلية (حكام آل بوربون لكلا البائنين)، كانت تربط فرنسا بالجزائر مصالح تجارية هامة (1535).

في بداية القرن التاسع عشر ومع انتهاء الحروب النابولونية واتفاق الدول الأوروبية في مؤتمر فيينا 1815م على محاربة القرصنة، كانت الأقلية التركية تعيش فيها، بينما توجه أنظارها للداخل لتنظم فيه وجودا عسكريا يضمن لها مواصلة الحماية التي كانت تشته وطأتها على السكان سنة بعد أخرى. أما سياسة القارب فالتختت أشكال التعامل مع مشايخ الزوايا وكسب كنف العلماء ببييد المساجد والإكثار من التحسيس لفائدة المدارس. وبسبب هذا العجز عن الاندماج في صلب المجتمع الجزائري، تشبث أعضاء الديوان بالقرصنة (الجهاد البحري) والتي كانت تتولد عليها نزاعات مع الدول الأوروبية، تكلف الداي وحكومته مصاريف تفوق بكثير مغنمها القليلة والموسمية.

كثيرا ما أصبح الدايات يجدون أنفسهم بين نارين: تهديد الدول في الخارج والثورة في الداخل. وهذا الوضع المقلق لم يكن خفيا على الأوروبيين لكثرة ما كان لهم من مخبرين رسميين كالقناصل والتجار وغير الرسميين كالجواسيس والسياح.

لعبت الطائفة اليهودية في الجزائر دورا سياسيا واقتصاديا خطيرا منذ أواخر القرن الثامن عشر. عندما توسع نفوذها في مجتمع الإيالة. وقد تفنن

كان الهدف من هذا الفصل هو إعطاء تفسيرات أو تأويلات للأسباب التي كانت وراء إخفاء حكام الجزائر في تحديث بنية البلاد الاقتصادية وعسكريا. ولاحظنا أن البحر كان أساس نمو أوروبا الحديثة، وتساهلنا عن الأسباب التي جعلت الجزائريين يهتمون بالتنمية الاقتصادية على مستوى الداخل، ولم يفكر الحكام في تجديد القوة العسكرية البحرية اللازمة. وكان ذلك الإهمال من أكبر المصائب، ومن أهم أسباب نجاح الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830.

ولا يسعني في الختام إلا أن أشكر الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات الذي أشرف على أطروحة الدكتوراه التي يشكل هذا الكتاب قسما منها⁽¹⁾ والروجة الفاضلة التي تحملت من متاعب الإشراف على العائلة طوال فترة البحث والتحرير.

وبالله التوفيق

سيدي بلعباس في 27 يناير 2007

إن الغاية التي أردناها من هذه الدراسة هي إعطاء قراءة جديدة لمراجع ومصادر معروفة وغير معروفة من منطلق إشكالية السقوط:

ماهي العوامل التي حالت دون تقدم الجزائر في الفترة العثمانية؟.

وهل يجب البحث عن هذه الأسباب في التأثيرات الخارجية أو أنها توجد مدفونة في ذاتها؟ ثم كيف نقرأ التراث الجزائري بصفته جزءا من

التراث العربي الإسلامي؟ إننا ملزمون بالترجع عن أطروحة الماضي الخالد والمجد، ومطالبون بتحديد مضامين المفاهيم الإيجابية: للتقدم، التأخر، الالتحاق، التفاوت.

نتاولنا الموضوع في أربعة فصول: خصصنا الفصل الأول منه في

دراسة الواقع الأوروبي

ولنعكاساته على أليالة الجزائر: 1815-1830. حيث وقفنا عند أهم

المؤثرات التي ساهمت في تحطيم قوى الجزائر العسكرية، وعملنا على دراسة الحملات المتكررة على الجزائر. وتناولنا في الفصل الثاني

موضوع دور اليهود في تدهور النظام الدفاعي للجزائر من خلال تغلغلهم في الوظائف المالية ونشاطهم الدبلوماسي والاقتصادي.

وحاول الفصل الثالث من الدراسة البحث في فقدان الجيش الجزائري لأهميته، والعراقيل التي حالت دون تجديد السكان الجزائريين ضمن طاقم الجيش الإنشغاري وهو الأمر الذي أدى إلى تراجع أهمية التجنيد. واهتم الفصل الرابع بدراسة مسألة انهيار الجزائر ودور الحصار البحري الفرنسي في فقدان الجزائر لقدراتها العسكرية شل مجالها الاقتصادي مما سهل عملية الاحتلال.

(1) النظام الحربي للجزائر في العهد العثماني منذ مطلع القرن السابع عشر حتى سنة 1830، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سيدي بلعباس، 2004.

وقبل تاريخ 1814 م، كان نابليون الأول قد فكر في الاستيلاء على الجزائر والقضاء على الإيالات المغربية. وبالفعل كان انضمام شمال إفريقيا تحت سلطة فرنسا، أحد بنود المعاهدة السرية التي عقدها نابليون مع قيصر روسيا⁽¹⁾.

وقد اقترح السيد سميث على المؤتمر في فينا طريقتين رآهما متكاملتين لإجبار الجزائر بصفة خاصة والإيالات المغربية (تونس وطرابلس الغرب) بصفة بحرية عامة، على التخلي عن نشاط القرصنة. تمثلت الطريقة الأولى في تكوين قوة بحرية مشتركة بين الدول الأوروبية لمحاصرة السواحل المغربية ومنع السفن الحربية من الخروج من موانئها. أما الطريقة الثانية فهي قيام سفراء الدول الأوروبية بتحميل الباب العالي مسؤولية تلك الأعمال وهذا من خلال السماح لها بتنظيم عمليات التجنيد في أقاليم الدولة العثمانية⁽²⁾.

عندما انعقد مؤتمر فينا في أواخر ديسمبر 1814م وأول يناير 1815م⁽³⁾، انشغلت إنجلترا سيدة البحر الأبيض المتوسط وشركاؤها بنشوة الانتصار على نابليون في معركة واترلو 1815م (Waterloo)، فتبادلت أنخاب النصر، وبدأت تفكر في إعادة رسم خريطة أوروبا.

ولما كانت إنجلترا سيدة البحر المتوسط فقد أوكل إليها المؤتمر باتخاذ الإجراءات الكفيلة بذلك، حيث عقد مؤتمر لندن مع بداية 1816م، بمشاركة إنجلترا وهولندا وفرنسا وبعض الدويلات الإيطالية⁽⁴⁾، الذي

(1) بتاريخ 8 جويلية 1807م، وقعت معاهدة الصلح في تلييت (Tilsit) بين فرنسا وروسيا.

(2) Raynal, op.cit, T1, PP. 134-135

(3) انعقد في النمسا، وقد حضر أعمال المؤتمر 140 وفدا وعلى رأسها القوى الكبرى آنذاك، إنجلترا، النمسا، روسيا، بروسيا، فرنسا، وقد اعتبره الزرخون أعظم اتفاق دبلوماسي أوروبا أمكن الوصول إليه في أوروبا بعد صلح وستاليا 1648م.

(4) تتكون هذه الدويلات من نابولي - سردينيا - توسكانيا - جنوة.

لقد قام ممثلو فرسان مالطة⁽¹⁾ بتسليم عدة مذكرات إلى المؤتمرين في فينا، يطالبون فيها بإعادة تشكيل نظامهم القديم، ومنحهم مقرا في البحر المتوسط، تجتمع فيه جميع الأساطيل المسيحية لمحاربة قرصنة الدول المغربية⁽²⁾. كما دعا سيني سميث (Sidney Smith) الدول الأوروبية إلى إنشاء قوة بحرية تضم جميع الدول المسيحية لمراقبة سواحل البحر المتوسط ومطاردة القرصنة⁽³⁾.

وبعد تداول المؤتمرون في القضايا المطروحة في مؤتمر فينا أصدروا قرارا نهائيا في 9 جوان 1815م، ألحوا فيه على ضرورة وضع حد لمسألة استرقاق المسيحيين في البلدان المغربية⁽⁴⁾.

ومن المعروف أنه في شهر أوت 1814 م وجه السيد سيني سميث⁽⁵⁾ نداء إلى قادة أوروبا: "لتنظيم حصار حول الجزائر عبر حملة أوروبية مشتركة حتى يضع حد لقرصنة الدول المغاربية"⁽⁶⁾.

(1) فرسان يوحنا نظام ديني عسكري، طردوا من القدس أثناء الحروب الصليبية، واستقروا بجزيرة قبرص حيث عرفوا باسم الأسباطية، إلا أن طردهم السلطان سليمان القانوني من جزيرة رودس عام 1512م، فلجأوا إلى مالطة عام 1530م، كما فرق نابليون صفوفهم عند دخوله الجزيرة عام 1798م، للعز يد أنظر: Garrot (Henri), Histoire générale de l'Algérie, Alger, 1910, PP. 466-467

(2) E. Le Marchand, l'Europe et la conquête d'Alger d'après des documents originaux tirés des archives de l'état, Paris, Perrin et Cie, 1913, P. 21.

(3) F. Charles-Roux, la France et l'Afrique du Nord avant 1830, les précurseurs de la conquête, Paris, F. Alcan, 1832, PP. 496-498.

(4) Le Marchand, op.cit, P. 22.

(5) سيني سميث هو الذي أسس جمعية الفرسان المحررين للرقيق الأبيض في إفريقيا. وقد عقدت هذه المؤسسة أول اجتماع لها سنة 1815م، للعز يد راجع: Raynal (Abbé G. T.), histoire philosophique et politique des établissements et du commerce des européens dans l'Afrique septentrionale, Paris, P. Maurus et cie, 1826, T1, P. 155.

(6) Le Baron de testa, Recueil des traités de la porte ottomane, Paris, 1864, T2, PP. 410-413.

وليا على الجزائر، تعددت المظالم مع المسيحيين، بحيث أن الصلوة (مع الأوروبيين) قد تحولت إلى نزاعات ومجاعات⁽¹⁾.

وهكذا أصبحت السياسة الإنجليزية في البحر المتوسط بعد مؤتمر فينا، وتقويض الدول الأوروبية لها - عدا فرنسا - إحدى العقبات الرئيسية التي تقف في وجه النشاط البحري الجزائري، بالإضافة إلى تخوف حكام الجزائر من البحرية الإنجليزية التي هي قاب قوسين أو أدنى من الجزائر من خلال وجودها في مالطة وجبل طارق.

ثانيا: مؤتمر إكس لاشابيل (Aix-La chapelle) 1818م:

كان من نتائج مؤتمر فينا 1815م تكوين إنجلترا وروسيا وبروسيا والنمسا الحلف المقدس بهدف المحافظة على السلام والحيلولة دون انتشار عدوى الثورة الفرنسية وظهور نابليون جديد يهدد الأمن والاستقرار لأوروبا. كما امتد نشاط هذا الحلف إلى خارج القارة الأوروبية فأصبح وكان له الحق في الإشراف على الأمن الدولي وحمايته⁽²⁾.

ولما كانت مسألة أمن البحر الأبيض المتوسط إحدى القضايا الساخنة التي نالت اهتمام الدول المسيحية برعاية إنجلترا منذ عقد مؤتمر لندن 1816م. غير أنها لم تؤد في الواقع إلى إنهاء النشاط البحري المغربي عموما، والجزائري خاصة، رغم تراجع بصوره واضحة، فالجزائر استطاعت إعادة بناء أسطولها وتجدد نشاطه من جديد، الأمر الذي جعل الدول الأوروبية تعود لإثارة هذه القضية من جديد في مؤتمر اكس لاشابيل في جنوب ألمانيا 1818م، حيث انضمت هذه المرة فرنسا إلى

أوصى بتكوين أسطول مشترك لضرب إيالات المغرب غير أن فرنسا رفضت المشاركة فيه لأنها أثرت فيما يبدو الحملات المغربية في البحر المتوسط على الهيمنة الإنجليزية عليه⁽¹⁾.

لقد اعتبرت الدولة العثمانية تعرض مؤتمر فينا للقضية الإيالات المغربية تدخل مباشر في الشؤون الداخلية لحكومة الباب العالي، وقد تخوف السلطان محمود الثاني من تعرض الدول الأوروبية وعلى رأسها إنجلترا، للإيالات الثلاث فأمر بضرورة التشاور مع أعضاء دوله حول إمكانية إرسال مبعوث عثماني إلى الجزائر وتونس وطرابلس الغرب لتبنيه ولاتها بالأخطار المحدقة بهم نتيجة المؤتمرات التي حيكت في مؤتمر فينا.

وقد أرسل الباب العالي أحد مبعوثيه أحمد آغا إلى الإيالات الثلاث. ولما علم الجزائريون بالمخططات الأوروبية وأدركوا أنه لا مناص من تجاهل الوضع الخطير، رحبوا بالمبعوث العثماني وأظهروا الطاعة للأوامر من خلال عدم المساس بسفن الدول التي لها علاقات طيبة مع الباب العالي كما لبوا طلب السلطان بإطلاق سراح خمسين أسيرا يونانيا⁽²⁾.

وتجدر الإشارة هنا أن محمد خسرو⁽³⁾ قد نبه السلطان محمود الثاني (1808-1839) في رسالة بتاريخ 2 جويلية 1815م، يتحدث فيها عن حكم الجزائر الداي الحاج علي (1809-1815): "منذ أن أصبح هذا الشخص

(1) عبد الجليل، التتبعي، بحوث ووثائق في تاريخ المغاربي (1816-1871)، ط 2، الجزائر: ديوان

المطبعات الجامعية، تونس: مركز البحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، 1985، ص 57.

(2) خط هلايوز، عدد 4887، تاريخ 1230 هـ.

(3) تول محمد خسرو وزارة الحرب العثمانية مرتين، الأولى من 1811 إلى 1817م والثانية من 1822 إلى 1826م.

(1) عبد الجليل، التتبعي، بحوث...، المرجع السابق، ص 57.

(2) إبراهيم أحمد، شلبي، مبادئ القانون الدولي العام، الرياض: دار المجتمع العلمي، 1990م، ص 50.

قرارات ومطالب الدول الأوروبية التي أثيرت للبلدان المغاربية بضرورة وضع حد لأعمال القرصنة⁽¹⁾.

وبعد محادثات طويلة مع الداي حسين (1818-1830)، رفض الامتثال لهذه المطالب وقال للوفد الأوروبي أنه لا يخضع لأوامر الملوك الأوروبيين، وأن دولته حرة في أن تحارب من تشاء وتسلم، وأنه سيتولى تفتيش جميع السفن الأجنبية⁽²⁾. ولم يكف الداي حسين بهذا الرد، بل أمر بتكثيف النشاط الحربي، كما أُنذر جميع القناصل الأوروبيين المعتمدين بالجزائر، بأنه أُنذر جميع القناصل الأوروبيين المعتمدين بالجزائر. بأنه في حالة ما إذا رفضوا دفع الاتاوات المقررة عليهم يعتبرون أعداء⁽³⁾.

وأبحر الوفد الأوروبي بعد تلك المحاولات الفاشلة إلى تونس التي وافقت على احترام كل المعاهدات المعقودة مع الدول الأوروبية والإجماع الأوروبي على إنهاء الحملات البحرية، وعلى الرغم من أن الجزائر هي التي تعرضت للقصف والتدمير من حملة الكسوف، فإن موقفها كان قويا وفيه تحد واضح للقوى الأوروبية مجتمعة على عكس تونس وطرابلس التي وصلتها الفرقة الانجلوفرنسية يومي 8 أكتوبر 1819م، حيث أبلغت يوسف باشا حاكم طرابلس (1795-1830م) بما أبلغت به أليات المغرب، وقد كان رد يوسف باشا كما يلي: "صاحب السمو باشا طرابلس نشعر... بكل مشاعر الاحترام والصداقة لأصحاب الجلالة ملكا إنجلترا وفرنسا وإلى ملوك القوى الأوروبية الذي اجتمعوا في أكس لاشابيل فإننا لندين من هذا اليوم (9 أكتوبر)" وإلى الأبد كل مظاهر القرصنة والنهب سواء

(1) نفسه، ص 326.

(2) Garrot, (H), op.cit, P.641.

(3) محمد العربي، الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري قبل الاحتلال (1792-1830)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1972، ص 42.

الحكومة العالمية المعنية ببروسيا والنمسا، وافقت هذه الدول على تفتيت الامبراطورية العثمانية⁽¹⁾. وكان مؤتمر أكس لاشابيل، آخر المؤتمرات التي ناقشت مسألة "القرصنة". وقد تمكن مندوبو الدول الأوروبية من توقيع بروتوكول في 20 نوفمبر 1818م، جاء فيه: "اتفق المفاوضون طبقا لنص بروتوكولي على أن يواصلوا في المؤتمر الوزاري الذي سيعقد في لندن النظر في المقترحات لإلغاء القرصنة التي تمارسها الدول البربرية (المغربية) بطريقة فعالة... وقد طلبوا إلى مندوبي بريطانيا وفرنسا بوصفها ممثلين للبلاتين اللذين يجب أن يكون لنفوذهما ثقل أكبر لدى هذه القرصنة الذي يخلق التجارة السليمة التي ستكون له آثار تجعل الإليات المغاربية أن تفكر عاجلا في نتائجها التي قد تمس وجودها نفسه... وحفظ البلاطات الخمس بحقها في تحذير الباب العالي أيضا بصورة ودية من الأخطار التي قد تتعرض لها الأليات المغربية، نتيجة استمرارها في ممارسة القرصنة من حيث أنها ستكون سببا في قيام الدول الأوروبية باتخاذ إجراءات حاسمة"⁽²⁾.

وبدأ هذا المخطط بالقضاء على النشاط البحري المغاربي لأنه يمثل آخر مظاهر القوة الإسلامية، وذلك بتكوين أسطولين: الأول انجليزي والثاني فرنسي لإرغام المغاربة على التخلي عن ممارسة هذا النشاط، وبالفعل تكونت هذه الفرقة البحرية خلال النصف الثاني من سنة 1819م، وكان الأسطول الانجليزي بقيادة توماس فريمانتل (T.Fremantle)، والأسطول الفرنسي بقيادة جوريان دي لاغرافيير (la Gravier) في البحر الأبيض المتوسط، حيث توجهوا رأسا إلى الجزائر. وقد خصص لهما الداي حسين لقاعين يومي 5 و9 سبتمبر عام 1819م، استمع خلالهما إلى

(1) نفسه.

(2) شارل، منكوت وليم شارل، تفصل أميركا في الجزائر، (ترجمة: إسماعيل العربي)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص 323-324.

مخططها، لجأت إلى إضعاف القدرات العربية الأيالات المغرب والمملكة من خلال عدم ترويضها بالمواد الإستراتيجية والأسلحة والسفن بعد هذا المؤتمر، وهي المواد التي كانت تقدم في السابق كهدايا من طرف دول أوروبية، وحتى أتوات سنوية التي تدفعها الدول المصغرى أصبحت في تراجع مستمر نتيجة لحصول بعض الدول على حماية إنجلترا وفرنسا.

ثالثا: الأطماع الأوروبية الاستعمارية:

لم يبق في البحر الأبيض المتوسط في أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر، من الدول الأوروبية سوى فرنسا وإنجلترا اللتان كانتا تتنافسان من أجل الحصول على امتيازات تجارية في الموانئ الجزائرية. والاستفادة من موقع الجزائر الاستراتيجي، وثرؤها المطلبية في أسواق البحر الأبيض المتوسط، كما تدخلت الولايات المتحدة الأمريكية في تلك الفترة، كطرف ثالث في دائرة الصراع، إذ وجهت اهتمامها نحو الجزائر بصفة خاصة وإلى الحوض الغربي للمتوسط بصفة عامة.

وقد حاولت كل دولة تحقيق أهدافها من خلال كسب صداقة الجزائر والتغريب إلى حكامها، وعندما عجزت الدول الثلاث عن تحقيق تلك الأطماع، قامت بشن حملات عسكرية ضد الجزائر كان لها آثار مدمرة على الاقتصاد الجزائري وعلى البنية العسكرية، مما أسهم بدوره في تعجيل بسقوط الحكم العثماني في الجزائر.

أ- حملة الولايات المتحدة الأمريكية على الجزائر 1815م:

لقد ساهمت الدول الأوروبية في تأجيج العلاقات بين الجزائر والولايات المتحدة الأمريكية خلال الفترة ما بين سنتي 1793-1797م. وقد كان مندوبو الولايات المتحدة يتهمون الفرنسيين باستمرار بالعمل لخرقة تقدم المفاوضات مع الجزائر، بالإضافة إلى المعارضة القوية من أعضاء الغرفة التجارية في مرسييا بسبب مصالح النقل البحري والتجارة في الجنوب⁽¹⁾.

(1) راي، إوين، المرجع السابق، ص 114.

بالبحر لم الأرض، وأيضا بعدم السماح لأي من سفننا التجارية بأن تنشر لتهاجم في البحر أي سفينة أو مركب تابعة للقوى المشار إليها أعلى⁽¹⁾ ونستشف موقف المغرب الأقصى من قرارات مؤتمر أكس لاشبيل من خلال قول أبي العباس الناصري: "وفي هذه السنة 1233هـ/1818م إبطل السلطان⁽²⁾ الجهاد في البحر ومنع رؤسائه من الفرصة به على الأجاس، وفرق بعض قراصته على الأيالات المجاورة مثل الجزائر وطرابلس، وما بقي منها أنزل منها المدافع وغيرها من آلة الحرب وأعرض عن أمر البحر راسيا بعد أن كانت قراصنة المغرب أكثر وأحسن من قراصنة صاحب الجزائر وتونس"⁽³⁾.

ومما يلفت النظر، أنه بعد هذا المؤتمر، تازمت العلاقات بين الجزائر والدول الأوروبية، التي أضحت تتدخل في شؤون الجزائر الداخلية عن طريق قنصلياتها، خاصة القنصلية الفرنسية في مدينة عنابة التي كانت تورد الأسلحة وتبيعها إلى القلائل الجزائرية لإثارة القلائل في البلاد⁽⁴⁾. وعلى أية حال يعتبر مؤتمر أكس لاشبيل بداية المرحلة الأولى لتقويض الإمبراطورية العثمانية وتقسيم البلاد العربية بين القوى الاستعمارية، الإنجليزية والفرنسية، وأن هذا المؤتمر لم يؤدي إلى تلمي النشاط المغربي فحسب، بل أدى في النهاية إلى احتلال الجزائر عام 1830م. حيث كانت البداية الفعلية لهذا المخطط الاستعماري الزاحف تحت ستار القضاء على ما يعرف في ألبانه بـ "القرصنة" وحرصا من هذه الدول على إنجاز

(1) محمد الهادي، أبو عجيل، النشاط اللبني في البحر المتوسط (1711-1835م)، وأثره على علاقاتها بالدول الأجنبية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، 1984، ص 605-610.

(2) السلطان المغربي سليمان بن عبد الله حكم ما بين (1792-1822م).

(3) الناصري، أبو العباس أحمد، الإستقامة لأخبار دول المغرب الأقصى، (تحقيق وتعليق: جعفر محلي ومحمد الناصري) الدار البيضاء: دار الكتب، 1954-1956، ج 3، ص 133.

(4) محمد العربي، الزبيري، المرجع السابق، ص 127.

1799م حوالي ثمانين سفينة تابعة للولايات المتحدة الأمريكية في سلام وأمان عرض البحر الأبيض المتوسط للتجارة⁽¹⁾.

وفي العقد الثاني من القرن التاسع عشر قررت الولايات المتحدة الأمريكية عدم دفع الإتاوة المقررة عليها إلى الجزائر. وقد أدى ذلك إلى توتر العلاقات بين البلدين، مما دفع الداي الحاج علي باشا، إلى طرد قنصلها من الجزائر عام 1812م. ويبدو أن الرسالة التي نقلها إلى الجزائر مبعوث إنجلترا كان لها تأثير كبير على قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين. فأعلن الداي بعدم بقاء لير ماديصون (Lear Madison)، لفصل العام في الجزائر، كما أكد الداي أن الولايات المتحدة الأمريكية مدينة للجزائر بمبلغ 47 ألف دولار⁽²⁾.

ويذكر شالر أن اليهود اقترحوا على الداي الحاج علي مهاجمة السفن الأمريكية حتى يرغب حكومتها على تجديد معاهدة السلم مقابل دفع مبلغ مالية معتبرة⁽³⁾. والملاحظ أن القنصل الأمريكي لير التجأ إلى شركة بكري اليهودية ليقترض منها المبلغ الذي حدده الداي، قبل بكري أن يدفع للداي مبلغ 27 ألف دولار، على أن يتلقى في مقابل ذلك مبلغ 30.750 دولار عن طريق جبل طارق⁽⁴⁾.

كان عقد الصلح في معاهدة غانت (Ghent) في 24 ديسمبر 1814م، والتي أنهت الحرب بين إنجلترا الولايات المتحدة الأمريكية، مناسبة ملائمة لمعاقبة الجزائر بالإضافة إلى أن الأسطول الجزائري كان مشغولا في حربه مع كل من إيطاليا وإسبانيا وهولندا وبروسيا والاندراك

(1) جون (ب) وولف، المرجع السابق، ص 418-419.

(2) راي، أروين، المرجع السابق، ص 238-239.

(3) شارل، المصدر السابق، ص 140-141.

(4) راي، أروين، المرجع السابق، ص 239.

وإذا القينا نظرة عامة على الفترة ما بين 1795-1797م، سنلاحظ عددا من النتائج الهامة، فإن الأسرى الأمريكيين قد أطلق سراحهم، وأصبحت علاقات سلام وصداقة مع الولايات المتحدة وبلدان المغرب العربي وهذا بفضل الوساطة الجزائرية. ومن جهة أخرى دفعت الولايات المتحدة ثمنا باهظا على سبيل الفدية وفي مقابل عقد معاهدة السلم مع الجزائر⁽¹⁾. وكذلك قدمت ترصيات في شكل هدايا، كما تعهدت بدفع ضريبة سنوية في شكل عتاد وأجهزة حربية بمبلغ 21600 دولار⁽²⁾.

ويقول كاتشارت بأن الداي حسن طلب من المبعوث الأمريكي مبلغ 2.247.000 دولار، تدفع منها قيمة شراء سفينتين حربيين كل واحدة منهما ذات 36 مدفعا ومبلغا لشراء العتاد الحربي تدفع كضريبة وهدايا في كل سنتين⁽³⁾.

وقد التزمت الولايات المتحدة على دفع 642.500 دولار نقدا وضريبة تدفع في شكل أجهزة ودخيرة حربية. وهذا بعد موافقة مجلس الشيوخ الأمريكي على نص المعاهدة وذلك بتاريخ 2 مارس 1796م⁽⁴⁾. وفي يناير 1797م بلغت تكاليف المعاهدة الجزائرية والمحافظة عليها مع الولايات المتحدة الأمريكية ما يقرب عن مليون دولار، وفي مقابل هذا، مرت سنة

(1) بدأت المفاوضات الأمريكية-الجزائرية في 3 سبتمبر 1793م مع المبعوث الأمريكي دونالدسون (Donaldson) الذي تفاوض مع الداي حسن (1791-1798م). ووقعت المعاهدة بتاريخ 5 سبتمبر 1795م.

للمزيد من التفاصيل انظر: كاتشارت، مذكرات أسير الداي: كاتشارت قنصل أميركا في المغرب (رواية) وعلقين: إسماعيل العربي)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982 ص 153.

(2) جون (ب) وولف، الجزائر وأوروبا 1500-1830م، (ترجمة و تعليق: أبو القاسم سعد الله) الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986 ص 416.

(3) كاتشارت، المصدر السابق، ص 168.

(4) راي، أروين، المرجع السابق، ص 108.

الأمريكية بأن ترد إلى الجزائر المستقلين اللذين استولى عليهما الأسطول الأمريكي من ذي قبل، وإطلاق سراح الأسرى الجزائريين⁽¹⁾.

وبعد هذا التاريخ لم يقع أي نزاع بين الدولتين، ولكن استمرت الولايات المتحدة الأمريكية على إنفاق مبالغ مهمة على علاقاتها مع الجزائر ودول المغرب العربي تونس وطرابلس الغرب، ولكنها لم تعد تدفع الضريبة السنوية مثل الدول الأوروبية⁽²⁾.

يقول دي غرامون: لقد ظلت الجزائر طيلة ثلاثة قرون رعية النصرانية وكرائتها، فلم تتجح واحدة من الدول الأوروبية من البحرية الجزائرية، بل وأخضعت الجزائر، زيادة على ذلك، الضريبة السنوية ثلاثة أرباع أوروبا، بل وحتى الولايات المتحدة الأمريكية⁽³⁾.

والملاحظ من خلال دراستنا لتاريخ العلاقات الدبلوماسية بين الجزائر والولايات المتحدة، فإننا ندرجها في ثلاث معاهدات أساسية انتهت باحتلال الجزائر سنة 1830م⁽⁴⁾.

ب - الحملة الإنجليزية - الهولندية 1816م:

بادرت هولندا بإرسال أسطولها الحربي إلى الجزائر في شهر جويلية 1815م، قصد تجديد معاهداتها مع الجزائر، ولكن الداي عمر باشا رفض

(1) راي، إروين، المرجع السابق، ص 248-249.

(2) المرجع نفسه، ص 258.

(3) Grammont, (HD.de), Histoire d'Alger sous la domination Turque 1515-1830, Paris, E. Leroux, 1887, op.cit. P.1.

(4) إلى جانب المعاهدة الأولى البرمة بتاريخ 5 سبتمبر 1795م والمحرة باللغة العربية، جاءت معاهدة سلم وصداقة في 3 جويلية 1815م بين الداي عمر وجيمس ماديسون، والثالثة بتاريخ 23 ديسمبر 1816م، ولم يصادق عليها إلا في 11 فبراير 1822م، من طرف الرئيس الأمريكي جيمس مونرو.

وفي هذا الصدد يقول المؤرخ الأمريكي إروين: "إن التأخر في المصادقة على تلك المعاهدة كان سهواً...".

للمزيد من التفصيل راجع:

راي، إروين، المرجع السابق، ص 257-258.

أعلن الكونغرس الأمريكي الحرب على

23 فيفري 1815م

وروسيا. ففي

الجزائر مباشرة⁽¹⁾.
وإثر ذلك، تم تجهيز أسطول حربي عهد بقيادة إحداهما إلى الكومودور

وليام بينبريدج (Bainbridge) وقد أفلعت من بوسطن، والثانية بقيادة الكومودور استيفان ديكاتور (Decatur)، أفلعت من نيويورك. وأصدر وزير العلاقات الخارجية الأمريكية تعليماته إلى قائد الأسطول والسيد

شارل (الذي سوف يصبح قنصل الولايات المتحدة الأمريكية في الجزائر) مع السلاح مع الجزائر على أن يتم بشروط مشرفة الولايات المتحدة، وإطلاق سراح الأسرى الأمريكيين، وذلك بدون دفع ضريبة⁽²⁾.

وفي 17 جويلية 1815م، التقى الأميرال ديكاتور ببراجة جزائرية مشهورة بقيادة الرئيس حميلو، وبعد يومين من المعركة قرب الشواطئ

الإسبانية، استسلمت البارجة وقتل قائدها حميلو وثلاثون من بحارتها نتيجة لانفجار أحد مدافع البارجة. كما اكتشف الأسطول الأمريكي سفينة حربية فأمرها وأرسلها إلى قرطاجنة الإسبانية⁽³⁾. ولما علم الداي عمر

باشا (1815-1817) بمصرع الرئيس حميلو ومحصير الأسطول الجزائري، قبل التفاوض مع الأمريكيين⁽⁴⁾.

توصل الطرفان إلى حل وسط، ووقعا على معاهدة في 30 جويلية سنة 1815م نصت بنودها على إلغاء الأتاوة السنوية، وإطلاق سراح

الأسرى الأمريكيين، ودفع تعويضا ماليا مقداره عشرة آلاف دولار للاستيلاء على السفينة الأمريكية "أيدوين" بما تعهدت الولايات المتحدة

(1) شارل، المصدر السابق، ص 146.

(2) نفسه.

(3) راي، إروين، المرجع السابق، ص 247.

(4) الزوار، مفكرات الحاج أحمد الشريف الزوار، (تحقيق: أحمد توفيق المدني)، ط 2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص 118.

الانجليزي من جهة، ومن جهة أخرى أسروا رعايا سردينيا ونبولي⁽¹⁾. وفي شهر أبريل عام 1816م، وصل الأسطول الانجليزي إلى ميناء الجزائر، قصد اقتداء أسرى مملكتي سردينيا ونبولي⁽²⁾.

وقد جاء في تقرير الحاج عبد الله مبعوث لداي عمر الباب العالي: "أنه عندما اقرب للورد أكسموث من ميناء الجزائر، أرسل مبعوثاً إلى الباشا ليخبره بأنه يريد اقتداء أسرى سردينيا الموجودين في الجزائر، لأن هؤلاء الأسرى يعتبرون من رعايا إنجلترا... وإذا وافق حاكم الجزائر على ذلك، فإنه مستعد أن يدفع مقابل كل رأس من هؤلاء الأسرى البالغ عددهم 50 أسيراً، ألف ريال. وقد وافق الباشا على اقتراح الذي عرضه عليه "أكسموث" إلا أن القائد الانجليزي... طلب أيضاً من الباشا أن يطلق سراح الأسرى التابوليتانيين البالغ عددهم 1200 أسيراً... وقد عرض القائد الانجليزي على الباشا ألف ريال مقابل كل رأس... إلا أن الباشا لم يستجب لهذا الطلب... التابوليتان دولة مستقلة ولها ملكها... ولذا فإننا مستعدون أن نسلم لكم هؤلاء الأسرى ولكن بعد أن تدفعوا ثمن فديتهم المتفق عليه"⁽³⁾. وبعد هذا التقرير، اتجه الأسطول الانجليزي نحو تونس وطرابلس، حيث أبرم مع حكاهما معاهدة سلم، وحرر أسرى سردينيا ونبولي منهما دون أن يدفع لهما فدية⁽⁴⁾.

وفي شهر ماي عام 1816م عاد الأسطول الانجليزي إلى ميناء الجزائر، ولما علم اللورد أكسموث باستعداد الجزائر لمحاربته، رفع العلم الأبيض، وقبل تسوية مشكلة الأسرى في إطار الأمر السلطانية، كما

التفاوض مع الهولنديين قبل أن تدفع بلادهم الاتاوات المتأخرة⁽¹⁾. وفي تلك الظروف، ظهر الأسطول الانجليزي في ميناء الجزائر عدة مرات⁽²⁾.

لقد اضطر لداي عمر أمام هذه التحركات التي تنذر بالخطر إلى بعث رسالة إلى السلطان محمود الثاني في 15 ماي 1815م، أخبر فيها بتحركات الأساطيل الأوروبية في البحر المتوسط، ونوايا الدول الأوروبية السيئة تجاه الجزائر وضرورة تمهيد السلطان للجزائر بالجند والسلاح⁽³⁾. ولم يخرز الباب العالي جهداً في تنبيه الإيالات المغربية للأخطار التي تحيط بها، فأرسل مبعوثه ينصح ولاتها بالالتزام باليقظة لمواجهة أي هجوم عسكري تقوم به إحدى الدول الأوروبية. وقد ذكر عمر باشا في الرسالة التي بعث بها إلى السلطان في 5 رجب 1231هـ/1 جوان 1816م: "لأننا سوف نستعمل كل طاقاتنا واهتمامنا للدفاع عن هذا الشعب المسلم الذي هو تحت كفاتنا، وأننا على استعداد للتضحية بأنفسنا دفاعاً عن ذلك"⁽⁴⁾.

في أواخر أوت 1816م اجتمع وزير الخارجية البريطاني اللورد كاسلريه، مع سفراء كل من روسيا وبروسيا والنمسا وفرنسا في لندن، وبحث معهم مشروع تكوين حلف عسكري مشترك لمدة سبع سنوات الهدف منه مقاومة الإيالات المغربية. ولم يكن هدف إنجلترا من وراء عقد هذا لمؤتمر أن ننسى سوى كسب تأييد أوروبي لحملتها العسكرية التي كانت تعد لها وقررت إرسالها إلى الجزائر بالاشتراك مع هولندا⁽⁵⁾.

ومن بين التبريرات التي وجتها إنجلترا لحملتها ضد الجزائر، أن الجزائريين قد استولوا على سفينة في سواحل عنابة تحمل العلم

1) ibid, P.22.

2) شارل، المصدر السابق، ص 150.

4) Garrot, op.cit, P.632.

3) خط همايون، عدد 48979، تاريخ 1231هـ.

1) شارل، المصدر السابق، ص 149.

2) نفسه.

3) عبد الجليل، التبعي، بحث...، المرجع السابق، ص 59.

4) خط همايون، عدد 22486، تاريخ 1231هـ.

5) Le Marchand, op.cit, P.26.

من هذا الموقف: كيف يمكن للورول الأوربية أن تعمل، لتسببها حق التدخل في نظام قائم منذ أمد طويل على عادات وقوانين بالادهم.

ومما تجدر الإشارة إليه أن اللورد أكموث وفون كيلان أمير البحر الإنجليزي والهولندي، كان على علم بالتحصينات ونقاط دفاعات مدينة الجزائر، بفضل النقيب وارد (Wardle) والضابط زيفل (Zeyfel).⁽¹⁾ لكن سكا رئيسهما من معلومات هامة حول الاستراتيجية الدفاعية لمدينة الجزائر.

وقد أشار المؤرخ الجزائري مولاي بلحميسي في دراسته عن البحرية الجزائرية، أن الذخيرة الحربية الإنجليزية والهولندية قد بلغت أربعمائة وخمسين مدفعا من صيرلات 32، 18، أما تحصينات مدينة الجزائر فتوزع على الشكل التالي: المنطقة الشمالية أربعة وأربعين قطعة مدفعية. وفي برج الغفار ثمانية وأربعين مدفعا، وفي البرج الشرقي ستون مدفعا، وفي برج السردين خمسة عشر مدفعا⁽²⁾.

وقد رصدنا من خلال إحدى الوثائق أن الداي عمر أرسل تقريرا مفصلا عن حالة الحصار والحملة بصفة عامة، حلها رئيس ميناء الجزائر القبطان علي، إلى الباب العالي جاء فيها: "رغم أننا أير منا اتفاقا مع الإنجليز والفلاحيك (الهولنديين) والذي نص على انتظار مدة ستة أشهر لإعادة النظر في مسألة الأسرى. فإنهم قدموا إلى الجزائر بأسطول ضخم يتكون من ثلاثين قطعة. وكان ذلك يوم 15 أوت 1816م. وبعد أن رفع الأسطول العلم الأبيض رمز الصلح والسلام. أرسلوا إلينا زورقا يسلم لنا رسالة تتضمن شروطهم والتي قضت بأن نسلم لهم جميع الأسرى الموجودين في الجزائر، ونرد على رسالتهم خلال ساعة واحدة فقط لما شرعنا في إعداد الجواب، تقدمت بعض قطع الأسطول من

طلب من الداي أن تولى السفينة الإنجليزية مهمة حمل هدية الجزائر إلى الدولة العثمانية⁽³⁾.

ومن جهة أخرى اعترت الداي بملكة هانوفر الجديدة، وسمح لها بالتوقيع بالاتفاق التي نصت عليها المعاهدة الجزائرية الإنجليزية باعتبار تلك المملكة ذليعة للإمبراطورية البريطانية. وبسبب نتائج هذه الحملة الإنجليزية⁽²⁾.

وتتهم بريطانيا بالقاعس تجاه واجباتها المسيحية⁽³⁾. قررت إنجلترا تجهيز حملة ثانية ضد الجزائر، حيث غادر أسطولها ميناء بليموث (Blymouth). بقيادة اللورد أكموث يوم 28 جويلية 1816 م، ونظم إليه الأسطول الهولندي بقيادة الأميرال فون كابلان (Van de capellen)⁽³⁾.

إن إيالة الجزائر كانت تعلم منذ سنة أن الأسطول المسيحي يتجول في عرض البحر المتوسط. وأن الدول الأوروبية تضمهر الشر ضدهم. وقد جاء في إحدى الوثائق العثمانية وهي عبارة عن رسالة بعث بها عمر باشا إلى السلطان العثماني بتاريخ 5 رجب 1231 هـ/1 جوان 1816م: لقد علم أوجاقنا من ماطلة أن الدول المسيحية قد تحالفت على إنشاء أسطول مشترك بينها، وقوة مدفعية لمحاربتنا، ومن الواضح أنهم يضربون لنا النوايا السيئة تجاهنا...⁽⁴⁾.

وقد شرح اللورد أكموث خلال هذه الحملة بأن مؤتمر فيينا قد قرر إلغاء الرق والقرصنة. وطلب بأن يقبل الجزائريون هذا القرار وأن يحرروا أرقاءهم المسيحيين. وقد كان الداي والديوان كلاهما غاضبين

(1) خط هانوفر، عدد 48979، تاريخ 1231 هـ.

(2) خاتم، العصر السابق، ص 153-154.

(3) Arnault, Chabaud, «Attaque des batteries Algériennes par Lord Exmouth le 1816», in, R.A(N°19), 1875, P.195.

خط هانوفر، عدد 22486، تاريخ 1231 هـ.

1) Playfair, «Episodes de l'histoire des relations de la Grande-Bretagne avec les états barbaresques avant la conquête Française», in, R.A (N°23), 1879, PP.462-463.

2) Belhamissi, (M), Marine et marins d'Alger à l'époque Ottomane (1518-1830), Thèse de Doctorat d'état, université de bordeaux 3, 1886, T3, P.366.

الأمريكي سولومس، الذي تحدث عن مقتل ثلاثة آلاف جزائري من جراء القصف، وتعرض نصف المدينة للهدم وإحراق الأسطول الجزائري^(١٨).

كان حجم الخسائر المادية كبيراً، إذ تخطت معظم السفن الإنجليزية من جراء المدفعية الجزائرية^(١٩). ويشير دوفال بأن هناك حوالي ثلاثة آلاف قتيل عن الجانب الجزائري، كما تضرر الميناء والتحصينات ومخازن الأسلحة والبارود من القصف المدفعي، كما تخطت معظم بنايات مدينة الجزائر^(٢٠).

وقد حمل الجيش الجزائري النامي عصر مسؤولية أضرار المصائب التي تعرضت لها الجزائر، لذا تم اغتياله من طرف عناصر الإنكليزية عام 1817م، ونسبته تاريخ حكم عصر باشا من خلال رواية المؤرخين. كانت دولته وإياديه كلها مصائب: الجراد، والفلا، ومصيبة حبيتر ومصيبة الإنجليز^(٢١).

ومن البديهي أن تكون الحملة نتائج خطيرة على نشاط البحرية الجزائرية منذ مطلع القرن التاسع عشر، فبتحرير الأسرى لمسيحين دون فدية، ضيع على الجزائر فرصة لتعيش الحرية بحوالي مليونين من الريالات الفرنسية، ولملاحظ أن الحملة الإنجليزية الجوانية لعام 1816م قد أسهمت بإنهاء الحكم العثماني في الجزائر^(٢٢).

(١٨) خط ماريون، عدد 22556، تاريخ 1231م.

(١٩) Chaboud, op.cit. P.201.

(٢٠) Tachiraf, Recueil de notices historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger. Pub. Par A. Devouk, Alger, imp. du gouvernement, 1852, P.14.

(٢١) الزوار، العصر السابق، ص 127.

(٢٢) عبد الجليل، التنبؤ، بحوث...، الرجوع السابق، ص 148.

7. الليونلي:

28. هولندا:

18. لجنر:

2. فرنسا:

2. فرنسا:

المجموع: 1.642 أسير.

ولملاحظ أن هولندا هي أيضاً عقدت معاهدة مع الجزائر، لورد الزهرل نفسها: 'وكانت عقد الصلح مع الفلامينك (الهولنديين)'، ولم يدفعوا شيئاً مما كانوا يطلبونه منهم، وهو غرامة سبع سنين. وكان الفلامينك يعتبرمون أن يدفعوا غرامة ثلاث سنين ثمن الصلح، تكفي في أجل معلوم^(١١).

لقد اختلفت الكتابات في تقدير حجم الخسائر المادية والبشرية لكلا طرفين خلال هذه المواجهة العنيفة، فبحسب عدد الجرحى والقتلى فإن الوثائق الجزائرية تشير إلى 300 قتيل في صفوف الجزائريين و3 آلاف إنجليزي وهولندي^(١٢). بينما ينكر شلر أن حوالي 600 قتيل وجريح جزائري و128 قتيل و690 جريحاً إنجليزياً و13 قتيلاً و25 جريحاً هولندياً^(١٣). أما شلر فقد قرر القتلى والجرحى في صفوف الجزائريين بـ 60 قتيل وجريح، و173 قتيل و744 جريحاً هولندياً وإنجليزياً^(١٤).

وتبيننا وثيقة بمعلومات في غاية الأهمية، هي عبارة عن تقرير من سلطان باشا قائد الأسطول العثماني، يخبره فيها السلطان بأن هناك حصار على الجزائر فرضه الإنجليز والهولنديين كما أبلغه بتقرير القبطان

الزوار، العصر السابق، ص 125.

خط ماريون، عدد: 22486، تاريخ 1231م.

الزوار، العصر السابق، ص 2925-312.

4) Slavery, op.cit. P.277.

الداي حسين بوجه مذكرة إلى القنصل المقيمين في مدينة الجزائر، يطلبهم بأن يسلموا له الأشخاص الذين يشتغلون لديهم ويتعمون إلى القبائل النائرة⁽¹⁾. وكان رد القنصل الإنجليزي مالك دونالد (Mac Donel) بالرفض حيث اعتبر هذا الإجراء تدخلا صريحا في شؤون القنصليات الأوربية. وبسبب القبض على خدم القنصليات توترت العلاقات بين الجزائر وإنجلترا⁽²⁾.

وأورد الزهاري في كتابه معلومات دقيقة عن أسباب توتر العلاقات بين البلدين، فأرجعها إلى تورط بعض الخدم في القنصليات الإنجليزية في الهجوم على إحدى السفن الأمريكية ونهبها عندما قدمت بها أمواج العواصف إلى سواحل بجاية، ورفض القنصل تسليم المتهمين في الحادثة إلى الداي لمعاقبتهم⁽³⁾.

ومن الراجح أن يكون هذا الحادث هو السبب الرئيسي الذي أدى إلى انفجار الأزمة بين الجزائر وإنجلترا، لأن الحادثة التي أشار إليها الزهاري وقعت في شهر سبتمبر 1824م⁽⁴⁾.

قام القنصلا الأجنبي المقيمين في الجزائر بعقد اجتماع في دار القنصل الأمريكي يوم 2 ديسمبر 1823م، وحرروا مذكرة احتجاج ضد أعمال الحكومة الجزائرية بخصوص التدخل في شؤونها الداخلية⁽⁵⁾ وقد رد الداي حسين على هذا الاحتجاج بأن بلاده حرة في تصرفاتها مع رعاياها كما هو شأن سائر البلدان المتحضرة⁽⁶⁾.

(1) شارل، المصدر السابق، ص 193.

(2) الزهاري، المصدر السابق، ص 151.

(3) المصدر نفسه، ص 1853-154.

(4) شارل، المصدر السابق، ص 200.

(5) محمد العربي، الزبيري، "مقاومة الجزائر...": المرجع السابق، ص 128.

ج- الحملة الإنجليزية 1824م:
كانت العلاقات الجزائرية الإنجليزية ما بين 1816 و 1824م حسنة، حيث لم تسجل حملة 1816م النتائج التي كان يتوخاها الرأي العام الأوروبي، حيث بدأ التحدي الجزائري واضحا من خلال استمرار النشاط البحري منذ 1817م، وهذا بفضل العوامل التالية:

إعادة تجديد الأسطول الحربي:

تمكنت الجزائر من تجديد أسطولها البحري بواسطة الصناعة المحلية، والمساعدات العسكرية التي تلقتها من بعض الدول الإسلامية. وقد أورد الزهاري نصا للمساعدة المغربية إذ كتب الداي عمر باشا إلى مولاي سليمان يطلب إعانة عسكرية لتجديد الجيش والعمارة البحرية، وعينه السيد الحاج محمد المغاوي قاضي السادة الحنفية رسولا... أمر السلطان باستضافته... وأحسن إليه، وأعطاه مركبتين من نوع كروفيت، وبالدنيرة وأعطاه أموالا وأمره بتسليمها للمجاهدين ورجع إلى الجزائر⁽¹⁾. أما يوسف باشا طرابلس، فبعث بسفينة من نوع بلاكرة لإعانة الجزائر، بالإضافة إلى المعدات العسكرية التي أرسلها الباب العالي للجزائر سنة 1232هـ (1817م). ويذكر الزهاري أنه في هذه السنة ثار الإنكشارية على الداي عمر وحقوه بدار الإمارة.

استمرار النشاط البحري:

منذ شهر سبتمبر 1817م، بدأ الأسطول الجزائري بشن غاراته على السفن الأوروبية، حيث تمكن من تسجيل عدة غنائم على سفن كل من بروسيا، وهولندا، وهامبورج، وإنجلترا⁽²⁾.

وفي نفس الفترة، ثارت قبائل ضواحي بجاية سكان أفراد لها يعملون خدما في القنصليات الأجنبية بمدينة الجزائر - على السلطة، مما جعل

(1) الزهاري، المصدر السابق، ص 127.

(2) Belhamissi, op.cit, T3, P.375.

يتفق مع الصلح المبرم بين البلدين حيث يأتون سفنهم إلى وجهة الميناء، ويظهرون توترهم أمام الجزائريين للضغط عليهم وتخفيفهم. ولما رست سفنهم بالغرب من المدينة، خرج القنصل الإنجليزي من قصره، وذهب إليها، ثم بعد ذلك أرسل شخصاً إلى الداي يعرض عليه شروطاً قاسية... وبعد أن تلقى الأمير تلك التهديدات، عقد اجتماعاً مع ديوانه... واتفق المجتمعون على رفض الشروط المعروضة عليهم⁽¹⁾.

ولما تلقى ملك تونس رد الحكومة الجزائرية، انسحب الأسطول الإنجليزي من ميناء الجزائر. وبدأ في شن هجمات خاطفة على السفن الجزائرية الداخلة أو الخارجة من الميناء. وقد أدت هذه المناوشات إلى اشتباك إحدى السفن الجزائرية بقيادة الرئيس قدور بالأسطول الإنجليزي في بداية شهر يناير عام 1824م، مما أسفر على إغراق السفن الجزائرية واستشهاد الكثير من بحارتها، كما أنهم ألقوا القبض على سفينة للحجاج وذهبوا بها إلى مالطة قاعدتهم العسكرية⁽²⁾.

حاول الإنجليز الدخول في مفاوضات مع الداي حسين بفرض الصلح، ولكنه رفض وطلب منهم استبدال القنصل ملك تونس، كما أن تخللات بعض القناصل لتسوية النزاع القائم بين البلدين، إلا أن المحاولة باءت بالفشل⁽³⁾.

وفي 23 فبراير 1824م، وصل الأميرال هاري نيل (Harry Neal) أمام سواحل مدينة الجزائر، حاملاً معه تعليمات مفادها أن إنجلترا تعتبر نفسها في حالة حرب مع الجزائر وكأقوى دولة في البحار، كما طالبت من الداي الاعتذار لها رسمياً عما جرى من إهانة قنصلها بالجزائر. وفرضت بذلك حصاراً بحرياً على الجزائر حتى تحمل الداي على التوقيع على تصريحات قنصلها⁽⁴⁾.

(1) خط همايون، عدد: 22550، تاريخ: 1240 م.

(2) الزهار، المصدر السابق، ص 152-153.

(3) محمد العربي، الزبيري، "مقاومة الجزائر"...، المرجع السابق، ص 128.

(4) شالر، المصدر السابق، ص 215.

ض النظر عن جهود القناصل الأوروبيين في فض النزاع، البارجة الإنجليزية بقيادة القبطان سبنسر (Spencer) إلى الميناء للجزائر في يناير 1824م، تحمل معها تعليمات الحكومة الإنجليزية صليها ملك تونس عن الأحداث التي جرت في أكتوبر 1823م.

لا اشتملت على بنود إضافية للمعاهدة التي أبرمت بين البلدين بعد حملة أكسموث، ولكن الداي رفض التفاوض مع الإنجليز واعتبر المعاهدة برمت معهم لمدة ثلاث سنوات قد انتهت أجلها، كما رفض التوقيع على الإضافية بحجة أنها لا تحمل الختم الحقيقي للحكومة الإنجليزية⁽¹⁾.

بعد هذه الحادثة أرغم ملك تونس في أواخر يناير من نفس السنة مغادرة الجزائر⁽²⁾. ولجأ إلى البارجة الإنجليزية للرئاسة في ميناء تير، ليتخذها بعد ذلك مقراً له يملئ منه شروطه على الداي، والدليل ذلك ما أورده القنصل الأمريكي شالر في رسالة وجهها إليه ملك من الجزائر يقول فيها: "بأنه سيواصل مفاوضاته بعد الآن من جهة من أجل التوقيع على البنود التي وجهتها حكومته إلى الداي، أن يتنازل عن شيء من مضمونها"⁽³⁾.

قد ورد في رسالتين أرسلهما الداي حسين إلى السلطان محمود (1808-1839) يخبره فيها عن الخلافات التي نشبت بين الجزائر تيراً: "رغم الصلح الذي أبرم بين البلدين بعد حرب 1816م، فإن ليز مازالوا ينظرون إلى القسبة نظرة غالب ومغلوب، ويعتبرون غالبين والجزائريين مغلوبين، على هذا الأساس يتصرفون بما لا

1- المصدر السابق، ص 202.

2- المصدر السابق، ص 203.

2) Grammont, Histoire..., op.cit, P.385.

Sir Harry Neal et Berbrugger(A). «Guerre de 1824 entre Alger et l'Angleterre R.A(N°8), 1864, P.203.

ويشير تقرير شهيندر ممثل الدولة العثمانية في مدينة لفورثة بإيطاليا إلى الباب العالي: "أن الجزائريين لم يتضرروا من الهجوم الإنجليزي لأنهم تمكنوا من إبعاد الأسطول الإنجليزي عن الميناء، إلا أنهم لم يقفوا عند هذا الحد، بل أعاد الإنجليزي الهجوم على الجزائر في اليوم التالي، الأمر الذي جعل جميع أهالي مدينة الجزائر يغادرون المدينة، ويصعدون إلى المرتفعات المحيطة بهم، ولم يبق في المدينة، إلا الجنود المجاهدون الذين دافعوا عن البلاد دفاع الأبطال، وصدّوا أمام الهجوم الإنجليزي ثلاث ساعات⁽¹⁾. ومما يلفت الانتباه أن هناك معلومات قيمة وردت في نص وثيقة مفادها أن الداي حسين قد أرسل 2000 جندي لمساعدة الدولة العثمانية في حرب اليونان، وأن هناك تحضيرات أوروبية لعقد اجتماع للباحث بخصوص المسألة اليونانية⁽²⁾.

بعد هذه المعركة أرسل الأميرال الإنجليزي سفينة، رفع عليها العلم الأبيض ليتفاوض مع الحكومة الجزائرية، حيث توصل الطرفان إلى عقد اتفاقية سلم بين الداي حسين والملك البريطاني جورج الرابع (1720-1830) بتاريخ 26 جويلية 1824م، وقد قبلها الداي حسين بعد استبدال القفصل مارك دونال⁽³⁾. والملاحظ أنه في سنة 1825م، ألغى الداي حسين هذه المعاهدة وأطرد القفصل العام الإنجليزي أودونيل O'Donnel⁽⁴⁾.

وقد تسبب الحصار الذي فرضه الإنجليز على الجزائر في عام 1824م في إحداث انعكاسات سلبية على التجارة الجزائرية الخارجية، وحيث تغير خط التجارة نحو البر عن طريق تونس والمغرب⁽⁵⁾.

(1) خط هيايون، عدد: 40324، تاريخ 1240 هـ.

(2) نفسه.

(3) الزاهر، المصدر السابق، ص 154.

(4) Cat, (E), Petite histoire de l'Algérie, Tunisie, Maroc, Adolphe Jordan, Alger, 1889, P.337.

(5) محمد العربي، الزبير، "مقاومة الجزائر"، المرجع السابق، ص 129.

تمثلت مطالب القفصل الإنجليزي في توسيع الحصانة الدبلوماسية، والاعتراف بالقفصل الإنجليزي لعمدة القناصل المسيحيين، وإعطائه جميع الامتيازات، وإعفاء الأهالي الذين يعملون في مصالح القنصليات الإنجليزية من الضرائب، وإعفاء الأهالي الذين يشغلون الدبلوماسية الإنجليزية⁽¹⁾. ولما يش من الضرائب مع عدم مراقبة نشاط الدبلوماسيين الإنجليز⁽²⁾. ولما يش من الضرائب من الحصار البحري، طلب الأميرال مقابلة الداي حسين، والدخول معه في مفاوضات جدية بتاريخ 28 مارس 1824م، ثم توصل الطرفان في النهاية إلى الاتفاق على بنود السلم والصلح، ولكن الداي أعاد من جديد طلبه بعدم عودة القفصل ملك دونال إلى الجزائر⁽³⁾.

وفي هذه الظروف الحرجة، طلب الداي حسين من السلطان العثماني إمداده بالمساعدات العسكرية من خلال السماح بالتجديد ومرورهم عن طريق تونس وطرابلس⁽³⁾. وبالرغم من طول مدة الحصار الذي دام ستة أشهر، أجرى الإنجليز خلالها عدة مفاوضات مع الجزائر، باءت كلها بالفشل. وذلك بسبب تعنت الموقف الجزائري الذي صمم على عدم عودة القفصل ملك دونال، ودفع الإنجليز للأثورة كبقية الدول الأوروبية⁽⁴⁾.

وبتاريخ 24 جويلية، أعاد الإنجليز هجومهم من جديد بقوة بحرية تمثلت في إثبات وعشرين سفينة. ولكنهم حينما اقتربوا من الميناء وجدوا المدفعية والأسطول الجزائري لهم بالمرصاد⁽⁵⁾.

(1) المصدر نفسه، ص 227-228.

(2) المصدر نفسه، ص 223.

(3) خط هيايون، عدد: 22550، تاريخ 1240 هـ.

(4) الزاهر، المصدر السابق، ص 153-154.

(5) خال، المصدر السابق، ص 236.

لقد ظلت الطبقة التجارية الجزائرية عاجزة عن منقبة الشركات اليهودية.

بسبب التخطيط الاحتكاري للدولة العمالية في المحل الاقتصادي، فقد قرع السباع عشر كان يبيع الحبوب والمتوجت الحولية لا يسمح بفتحها إلا الحكومة. وتعود أسباب هذه الأوضاع إلى أن الفوائد التي كان يوفرها هذا النظام الاحتكاري، لم تكن تذهب لخزينة الدولة، فقرر الحكومة في هذه العمليات أن يقتصر في الحقيقة على الإجراءات الإدارية والتنظيمات الجمركية. بينما أرباح الوساطة مع الخارج يفوز بها التجار اليهود والشركات الأوروبية تحت غطاء الوساطة التي تقوم بها مع الأسواق الأوروبية. ومن الواضح أن مثل هذه المعاملات التجارية التي تتجت عن نظام الاحتكار⁽¹⁾ أصبحت متناقضة مع مصلحة الدولة ومضرة بالاقتصاد الجزائري.

لقد كانت جل الفوائد تذهب إلى جيوب السماسرة اليهود والتجار الأوروبيين لا سيما وأن إيالة الجزائر كانت تنظر إلى هؤلاء التجار وكأنهم أداة ضرورية للاقتصاد الجزائري، لا يمكن الاستغناء عنها لمقد الصفقات التجارية مع الدول الأوروبية.

ويرجع ذلك إلى إطلاع اليهود على الأحوال الاقتصادية في العالم المسيحي وانفتاحهم على أوروبا وعدم تمكن الجزائريين من أداء أعمالهم التجارية، وهو الأمر الذي جعل اليهود يستقرون من التجارة الخارجية بين الجزائر وأوروبا. وبغض النظر على معرفتهم الواسعة للغات وكفاءتهم في حسن تسيير المعاملات التجارية. بالإضافة إلى ثلاثي النشاط البحري الجزائري المتعلق بالتجارة السليمة منذ أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، تاركا المجال رحبا أمام البحرية التجارية الفرنسية والإنجليزية ذات التجهيز الجيد⁽²⁾.

1) Gallissot, (R), «le Maghreb précolonial, mode de production archaïque ou mode de production féodal», in, la pensée, N° 142, 1968, P.87.

2) Emerit (M), «l'essai d'une marine», op.cit, P.369.

الفصل الثاني

دور اليهود في تدهور النظام العربي للجزائر

يرى أحد الباحثين الجزائريين⁽¹⁾ أنه مع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، سجلت ظاهرة جديدة في إيالة الجزائر، تمثلت في سيطرة عائلتين يهوديتين هما بكري وبوشناق على الاقتصاد الجزائري، واحتكارهما لأسواق الحبوب. وقد أثار هذا الاحتكار سخط الرأي العام ضد يهود الجزائر والدאי مصطفى الذي ربط مصيره بهما، مما تحول إلى ثورة عارمة أدت إلى مقتل الداي وتعيين أحمد خوجة مكانه.

أولا : تغفل اليهود في الوظائف المالية:

أ- النشاط الاقتصادي لليهود في الجزائر:

احترف اليهود التجارة الخارجية في مختلف المدن التجارية المطلية على الحوض الأبيض المتوسط خلال العهد العثماني، ومن العوامل التي ساعدت اليهود على احتكار التجارة الخارجية في إيالة الجزائر، اعتماد الدولة على أعمالهم التجارية نظرا لاستحالة التجار الجزائريين التعامل مع البلدان الأوروبية وخاصة خلال القرن الثامن عشر حيث منعت الدول الأوروبية السفن التجارية الجزائرية الاقتراب من موانئها مستعملين أساليب التعذيب والقتل والحرق، ومن هنا جاءت الحاجة إلى استعمال التجار اليهود⁽²⁾. والملاحظ أنه خلال الفترة (1792-1830م) حاربت الدول الأوروبية جميع المحاولات الرامية إلى تكوين أسطول تجاري جزائري، وهو الأمر الذي أضرب بمصالح التجار الجزائريين، وأجبرهم على الانسحاب من ميدان التجارة الخارجية.

1) عبد الله، شريط، مختصر تاريخ السياسي والثقافي والاجتماعي، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985م، ص 150-160.

2) Emerit, (M), «l'essai d'une marine marchande Barbaresque au XVIIIe siècle», in, C.T. N°11, 1955, PP.363-369.

لقد ظلت الطبقة التجارية الجزائرية عاجزة عن مطالبة الشركات اليهودية.

سبب التنظيم الاحتكاري للدولة العثمانية في المجال الاقتصادي، فقد قُرت السابع عشر كان بيع الحبوب والمنتجات الحيوانية لا يسمح بشحنها إلا للحكومة، وتعود أسباب هذه الأوضاع إلى أن الفوائد التي كان يوفرها هذا النظام الاحتكاري، لم تكن تذهب لخزينة الدولة، فتور الحكومة في هذه المسائل كان يقتصر في الحقيقة على الإجراءات الإدارية والتنظيمات الجمركية. بينما أرباح الوساطة مع الخارج يفوز بها التجار اليهود والشركات الأوروبية تحت غطاء الوساطة التي تقوم بها مع الأسواق الأوروبية. ومن الواضح أن مثل هذه المعاملات التجارية التي نتجت عن نظام الاحتكار، أصبحت متناقضة مع مصلحة الدولة ومضرة بالاقتصاد الجزائري⁽¹⁾.

لقد كانت جل الفوائد تذهب إلى جيوب السماسرة اليهود والتجار الأوروبيين لا سيما وأن إيالة الجزائر كانت تنظر إلى هؤلاء التجار وكأنهم أداة ضرورية للاقتصاد الجزائري، لا يمكن الاستغناء عنها لعدم الصفقات التجارية مع الدول الأوروبية.

ويرجع ذلك إلى إطلاع اليهود على الأحوال الاقتصادية في العالم المسيحي وانفتاحهم على أوروبا وعدم تمكن الجزائريين من أداء أعمالهم التجارية، وهو الأمر الذي جعل اليهود يستفيدون من التجارة الخارجية بين الجزائر وأوروبا. وبغض النظر على معرفتهم الواسعة للغات وكفائتهم في حسن تدبير المعاملات التجارية. بالإضافة إلى تالشي النشاط البحري الجزائري المتعلق بالتجارة السليمة منذ أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، تاركا المجال رحبا أمام البحرية التجارية الفرنسية والإنجليزية ذات التجهيز الجيد⁽²⁾.

الفصل الثاني

دور اليهود في تدهور النظام الحربي للجزائر

يرى أحد الباحثين الجزائريين⁽¹⁾ أنه مع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، سجلت ظاهرة جديدة في إيالة الجزائر، تمثلت في سيطرة عائلتين يهوديتين هما بكري وبوشناق على الاقتصاد الجزائري، واحتكارهما لأسواق الحبوب. وقد أثار هذا الاحتكار سخط الرأي العام ضد يهود الجزائر والدאי، مصطفى الذي ربط مصيره بهما، مما تحول إلى ثورة عارمة أدت إلى مقتل الداي وتعيين أحمد خوجة مكانه.

أولا : تغفل اليهود في الوظائف المالية:

1- النشاط الاقتصادي لليهود في الجزائر:

احترف اليهود التجارة الخارجية في مختلف المدن التجارية المطللة على الحوض الأبيض المتوسط خلال العهد العثماني، ومن العوامل التي ساعدت اليهود على احتكار التجارة الخارجية في إيالة الجزائر، اعتماد الدولة على أعمالهم التجارية نظرا لاستحالة التجار الجزائريين التعامل مع البلدان الأوروبية، وخاصة خلال القرن الثامن عشر حيث منعت الدول الأوروبية السفن التجارية الجزائرية الاقتراب من موانئها مستعملين أساليب التعذيب والقتل والحرق، ومن هنا جاءت الحاجة إلى استعمال التجار اليهود⁽²⁾. والملاحظ أنه خلال الفترة (1792-1830م) حاربت الدول الأوروبية جميع المحاولات الرامية إلى تكوين أسطول تجاري جزائري، وهو الأمر الذي أضرب بمصالح التجار الجزائريين، وأجبرهم على الانسحاب من ميدان التجارة الخارجية.

(1) عبد الله، شريط، مختصر تاريخ السياسي والثقافي والاجتماعي، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985م، ص 150-160.

(2) Emerit, (M), «l'essai d'une marine marchande Barbaresque au XVIIIe siècle», in, C.T., N°11, 1955, pp.363-369.

(1) Gallissot, (R), «le Magasin précolonial, mode de production archaïque ou mode de production féodal», in, la pensée, N° 142, 1968, P.87.

(2) Emerit (M), «l'essai d'une marine», op.cit, P.369.

عن عرض خدماتهم على رجال الدولة الجزائرية في السبعينيات. وقد تعرضوا للاحتجاز من الأهالي كرد قبل الاقتصادية والفضايا المالية. والنقد الذي لهم على الأجيال المالية للبلاد (1)، على الأموال التي جمعوها، والنقد الذي لهم على الأجيال المالية للبلاد (1)، وهذا ما دفع أغنياء اليهود إلى التقرب من الحكام، بتوفير الحاجات المالية لهم، حتى لا يتعرضوا للتضييق والقمع، ويتمكنوا من اكتساب الامتيازات التجارية والتهرب من الضرائب.

والجدول التالي يوضح لنا أسماء التجار اليهود بمدينة الجزائر العثمانية من خلال أرشيف القنصلية الفرنسية بالجزائر ما بين 1792-1830م (2).

أسماء التجار	مكان النشاط التجاري	تاريخ النشاط
شاي درمون	مرسيليا	1792-1815م
سيمون أبوقية	الجزائر	1792م
يعقوب ليفي بلنسي	الجزائر - لفورنة	1792م
إيليو عمار	الجزائر	1792م
نطالي بوثناق	الجزائر	1792-1798م
جوزيف كوهين سلمون	الجزائر	1792م
يعقوب بن زهوات	الجزائر - مرسيليا - لفورنة	1792-1823م
موسى كوهين سلمون	الجزائر - مرسيليا	1792-1819م
داود ثابت	الجزائر	1792م
إيراهيم بوشارة	الجزائر	1792م
يعقوب سلال	الجزائر - لفورنة - جنوة	1792-1820م
إيراهيم سلال	الجزائر - لفورنة	1792-1826م

1) Emerit, (M), «Ephéméride», op.cit, P.308.

2) Mohamed, Amine, «les commerçants à Alger à la veille de 1830», in, R.H.M, N°77-78 Zaghouane, Mai, 1995, PP.45-51.

وتجدر الإشارة هنا أن اليهود تمكنوا من استغلال الصراع القائم بين الأثرياء وجماعة الكراغلة ويوظفه لصالحهم، ونستشف ذلك من خلال رواية حمدان خوجة: "... والكر اغلة الذين كانوا يتقاضون أجورا من الدولة، والذين كانوا موزعين على مختلف أنحاء الإيالة، لم يكونوا يستطيعون الحضور، شوريا، كما هي العادة، لتقاضي مرتباتهم، ولذلك كانت جماعة من اليهود تسبق لهم روايتهم السنوية مقابل وكالة تسمح لهم بأن يقبضوا - باسمهم - مالهم في ذمة الدولة..." (1).

ويشير بروديل (F.Braudel): "أن الجالية اليهودية بالجزائر في العهد العثماني كانت أقلية منافسة للأهالي بحكم سيطرتهم على دوليب الاقتصاد الجزائري والحركة التجارية. والملاحظ أن هذه الطائفة كان يسود أفرادها الشعور بالتضامن خوفا من الانقراض والذوبان" (2).

كان للتجار اليهود علاقات واسعة مع أهم الموانئ الدولة العثمانية، ومنذ نهاية القرن الثامن عشر استغلوا حماية الدول الأوروبية والتنظيمات التجارية المعمول بها في الموانئ الفرنسية وتوسكينا ولفورنة، والنشاط البحري الإنجليزي الهولندي في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

كان للتجار اليهود مختصين في شراء غنائم رياس البحر، وقد تمكنوا بفضل هذه المضاربات من تجميع ثروات مالية هائلة وهذا حسب تعبير القنصل الفرنسي جان أنطوان فاليريير (J.A.Vallière) -1763-1773م (3).

وكانت الأوضاع الاجتماعية للجالية اليهودية تتأثر بالدور الذي تلعبه في الميدان المالي. فكثيرا من أفرادها ما كانوا يقومون بدور الوساطة التجارية وتقديم القروض المالية بفوائد مرتفعة عند الحاجة، كما أنهم كانوا لا

(1) حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص 155-156

2) Braudel, (F), civilisation matérielle, économique et capitalisme XV^e et XVIII^e siècle, les jeux de l'échange. Armand colin, Paris, 1979, P.139.

3) J.A. Vallière, l'Algérie en 1781, Mémoire du consul. J.Vallière. Pub par Lucien Chaillo, Toulon, Valbert, Rand, S.D, P.65.

(موزونة) بدل 38 ثمنها المعتاد وهذا ما بين سنوات 1797-1798⁽¹⁾. وفي سنة 1795م أبرمت مصالح التموين الفرنسية اتفاقية مع محكم شركة بكري وبوشناق لتزويدها بـ 100 ألف حمولة من القمح بمسئوليتها بـ 100 فرنك للحمولة الواحدة ونصفها الآخر على سعر 120 فرنك، وتضمن الاتفاق على أن يكون دفع الثمن نقدا. والغريب في الأمر أن فرنسا الإفريقية كانت في تلك الأثناء، ترسل كميات من نفس القمح وتشتريه بـ 25 فرنكا للقطار الواحد أي بحوالي 30 فرنك للحمولة⁽²⁾.

والظاهر أن تعاطف دور المتعاملين الاقتصاديين اليهود في حكومة الجزائر، جعلت وزير خارجية فرنسا تاليران (Talleyrand)، يخطر بباله بترضية مطالب مؤسسة بكري وبوشناق. وهذا ما نستشفه في رسالة بعثها إلى وزير المالية بتاريخ 24 أوت 1800م: "إن علاقتنا مع الأيالة تتطلب منا إيداء النوايا الحسنة تجاه اليهود"⁽³⁾.

تعود جذور مسألة الديون، إلى الموقف الذي تبنته الحكومة الجزائرية أثناء الظروف الصعبة التي مرت بها فرنسا في سنتي 1793-1794م⁽⁴⁾. لقد عبر الداي حسن باشا لمحافظة العلاقات الخارجية بيتول (Pitole) في أواسط أكتوبر 1794م: "لن نرد أي طلب للجمهورية يكون في متناولنا، فالمواد المعاشية والخيول الجيدة هي متواجدا. فالصديق الحقيقي هو ذلك الذي يظهر عند الحاجة. فهذه هي مبادونا نحن على استعداد لأن نمدكم بالحبوب والمواد المعاشية من كل نوع، لأننا نشعر أنكم في الحرب العامة التي تواجهونها مع الدول الأوروبية، فمن المستحيل أن لا

1) Plantet, (E), Les consuls de France à Alger avant la conquête, 1579-1830, Paris, Hachette, 1930, T2, P.463.

2) Masson (Paul), «la veille d'une conquête, concessions et compagnie d'Afrique 1800-1830», in, Bulletin de géographie historique et descriptive, 1909, P.59.

3) Montagnon (P), la conquête de l'Algérie, 1830-1871, Paris, 1996, P.50.

4) تتمثل هذه الظروف في الخطر الخارجي المتكون من الدول الأوروبية الكبرى التي تحالفت من أجل القضاء على الثورة الفرنسية في مهادها الأول بالإضافة إلى انهيار للاقتصاد وتلك أجهزة الإدارة القديمة.

لقد أقر القنصل الفرنسي فيليب فاليري (ph. Vallière) (1791-1806) في رسالة له إلى معتمد المؤسسة بعبارة الوكيل قيبر (Guibert) بتاريخ 26 جانفي 1794م يقول فيها: "أن تجارة القمح في يد اليهود وأن الداي بابا حسن في الجزائر كان يتعامل معهم، وأن بابا قسنطينة مصطفى الوزناجي أصبح بدوره يفضل التعاون معهم"⁽¹⁾. وهذا ما سمح بالفعل لمؤسسة بكري وبوشناق بتصدير كميات ضخمة من الحبوب إلى فرنسا بحيث بلغت ديون الحكومة الفرنسية للوكالة اليهودية بمسئوليتها الذي كان يشرف عليها يعقوب بن ميشال بكري مليوني فرنك سنة 1795م وهو نفس السبب الذي جعل الفرنسيين يلجئون إلى هذه الوكالة لإمداد الجيش الفرنسي العامل بإيطاليا بالأقوات الضرورية سنتي 1796-1797م.

لقد كتب القنصل الفرنسي جان فون سانت أندري (J.V. Saint André) (1796-1798) بخصوص تجارة اليهود: "من ذا الذي يصدق بأن تجارة البحر الأبيض المتوسط قد وقعت في يد يهوديين من الجزائر؟ ومع ذلك فهذه هي الحقيقة... ففي أي سوق مهم نجد فيه ممثلي شركة بكري وبوشناق، قرطاجنة، مرسلية، جنوة، لفورنة، نابولي، أنمير، الاسكندرية، تونس..."⁽²⁾.

لعبت شركة بكري وبوشناق دورا خطيرا في تنشيط جانب التصدير من التجارة الخارجية للجزائر. واستطاع المسبرون اليهود، بفضل ما كانوا يقدمونه للدايات من معلومات تتعلق بشؤون الأيالة في الداخل والخارج أو الهياكل الثمينة والمساعدات المالية التي كانوا يوزعونها.

وتجمع الدراسات أن الشركة اليهودية قد شحنت كمية من الحبوب يقدر ثمنها بحوالي 15 مليون فرنك⁽³⁾ وقر ثمن حمولة القمح بـ 45 بياستر

1) Vallière, (Ch.Ph), op.cit. P.66.

2) Esquer, (G) les commencements d'un empire la prise d'Alger, 1830, Larousse Paris, 1929, P.20.

3) محمد العربي، الزبيري، التجارة...، المرجع السابق، ص 95.

المشكلة، فالجزائر لم تعد مصدرا لتصدير الحبوب إلى فرنسا، بسبب موجة الجفاف التي اجتاحت البلاد سنة 1800م، وبلغت ذروتها في عام 1805م⁽¹⁾. فمعاملات التاجران مع فرنسا ارتكزت أساسا على تجارة الحبوب، مما انعكست آثارها وبصفة سلبية على مؤسسة بكري في فرنسا. لقد واصل الداي أحمد باشا (1805-1808م) س سياسة الضغط على الشركة اليهودية لتصفية حسابها مع خزينة الدولة، فاسترجع المبلغ الذي كان في ذمة نطالي ثم فرض عليها مبلغ 4 ملايين فرنك لحماية أشخاص مسيرها من أبناء بكري وبوشناق. والمعروف أن القناصل الأجانب تدخلوا إزاء هذه المعضلة وقرروا على الداي أن يكون الدفع بالتقسيط في ظرف عشرين شهرا⁽²⁾.

وخلال هذه المحنة تمكن دافيد بن يوسف بكري من أن يقترب من الداي ويتودد إليه، حتى عينه في شهر جوان 1806م على رأس الجالية اليهودية بالجزائر، ثم إغفاه وشركاه مما تبقى من الضريبة المفروضة عليهم⁽³⁾.

وقد أشار المؤرخ الجزائري سعد الله في حديثه عن النزاع القائم بين المسلمين واليهود في الجزائر العثمانية، أن سبب ذلك راجع بالدرجة الأولى إلى تحكم اليهود في مقاليد السياسة عن طريق الاقتصاد، وأنهم السبب الرئيسي في النزاع الذي حصل بين الجزائر وفرنسا، والذي أدى في نهاية المطاف إلى الاحتلال الفرنسي للجزائر⁽⁴⁾.

وهكذا نلاحظ من هذا، أن تحكم اليهود في المخافد المالية عن طريق الاحتكارات التجارية، أدت إلى ضعف الوضع المادي للدولة مما تسبب في تدهور أوضاع الجيش هاليا، وبخاصة التأخير في الرواتب ورداعة

(1) حول مسألة الجفاف وانخفاض إنتاج الحبوب في الجزائر راجع :

Saidouni, (N), L'Algérois rural à la fin de l'époque Ottomane (1791-1830), Beyrouth Dar al-garb-al islami, 2001, PP.263-277.

(2) محمد العربي، الزبيري، التجارة...، المرجع السابق، ص 275.

(3) Eisenbeth, (M), op.cit, P.117.

(4) أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط 1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998، ص 454.

تعرضكم صعوبات في سبيل اقتناء المواد التموينية، ففي مثل هذه الظروف يتحتم علينا أن نغير لكم عن خالص أحاسيسنا ونعطيكم الدليل على صدق مشاعرنا⁽¹⁾.

عند نهاية 1797م، عبرت الحكومة الفرنسية، ولأول مرة وبشكل صريح عن مواقفها من التاجرين: "يجب عليكم أن تعملوا بجد من أجل إبعادهم (اليهود) عن معاملتنا السياسية منها والتجارية، فمن الناحية السياسية فإن تدخلهم يشكل مهانة للجمهورية، ومن الزاوية التجارية فإن منافستهم تضر بالمصالح التجارية لمواطنينا"⁽²⁾.

في عهد الداي مصطفى باشا سوف تطرح وبالحاح شديد مسألة ديون التاجرين، فقد طلب الداي تسليم المبلغ لسيمون أبوقية ممثل الشركة في باريس، وخلال المفاوضات التي جرت لانتهاء الحرب بين البلدين، طرحت السلطات الجزائرية مسألة تسديد ديون التاجرين كشرط أساسي لعودة العلاقات السلمية بين الطرفين. وثبت هذا الالتزام في معاهدة الصلح المبرمة في 27 ديسمبر 1801م⁽³⁾.

قرر سيمون أبوقية مبلغ الدين بـ ثلاثة ملايين فرنك بدون فائدة، سددت منه الحكومة الفرنسية نصف مليون فرنك، في حين حددت حكومة المديرية المبلغ بمليونين وثلاثمائة ألف فرنك. وبالنسبة للتاجرين فإن الحساب الذي قدمه للحكومة الفرنسية عند منتصف شهر أوت 1800م، حدد مبلغ هذا الدين بـ 7.942.994 فرنكا، بدون حساب الفائدة⁽⁴⁾. يمكن اعتبار الفترة الممتدة بين سنتي 1803 و1813م، على أنها مرحلة تفن بالتسبة لهذه

1) Plantet, op.cit, T2, PP.443-444.

وأيضا: Esquer, op.cit, P.18

(2) جمال، قنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790-1830، الجزائر: منشورات متحف الجهاد، 1999، ص 283.

(3) جمال، قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1987، ص 340-342.

(4) Esquer, les commencements..., op.cit, P.27.

على رسالته حتى حدوث القطيعة بين الملمدين وإعلان فرنسا الحرب ضد الجزائر في شهر جوان 1827⁽¹⁾.

ثانيا: دخول اليهود للطوائف الحكومية

تمكن اليهود من توجيه السياسة الخارجية للجزائر بفضل جهودهم في جمع المعلومات السياسية وتقديمها إلى الدايات. وهذا بواسطة جهودهم كانت منتشرة في أرجاء الأيالة وخارجها، وبفضل هذه الشبكة الاستخباراتية التي أنشأها اليهود في الجزائر إبان الفترة العثمانية.

وقد تدعم النفوذ اليهودي ومركزهم السياسي لدى الحكام الأتراك، فأضحى كما أطلق عليهم البعض سادة الجزائر وملوكها⁽²⁾. وتشير بعض الدراسات أن الداي حسن باشا (1791-1798) حينما تولى حكم الأيالة، عين إلى جانبه نبطالي بوشناق مستشارا يحظى لديه بكل سطوة وسُلطان، وعرف هذا الأخير كيف يستفيد من منصبه ليضع للشركة الجديدة أسسا متينة في مختلف أنحاء البلاد وخارجها⁽³⁾.

كما أن رواية ماصون (Masson) العائدة إلى الفترة المذكورة، أشارت إلى شفاعة بوشناق لمصطفى الوزناجي باي التطري، وصيانيته من حد الموت سنة 1792م⁽⁴⁾، ثم تقديم يد المساعدة له وإقراره بالمال ثم قدمه للداي في صورة جديدة وأتمس له العفو فعفى عنه، ثم عينه قائدا

1) Plantet, op.cit, T2, PP.558-563.

2) Rozet, Voyage dans la régence d'Alger ou description du pays occupé par l'armée Française en Afrique, Paris, Arthus Bertrand, 1830, T2, P.226.

3) Esquer, les commencements..., op.cit, P.19.

4) Masson, (P), Histoire des établissements et du commerce Français dans l'Afrique barbaresque, 1560-1793, Paris, Hachette, 1903, P.57.

مؤونة، وما نتج عن ذلك من هروب الجنود من الثكنات وتنازع أو ضاع العلاج الجزائري، وكان وراء ذلك كله أصابع اليهود البارزة والخفية التي أسكتت بالإدارة المالية في الجزائر خلال فترة من الزمن.

عندما حدثت أزمة الجفاف، وتعطلت صادرات الحبوب، جعل الحكومة تمنح احتكار تجارة الصادرات للتاجران اليهوديان، مؤمنة بذلك موردا ثابا لل دولة يقدر سنويا بحوالي ثلاثة ملايين فرنك. وإلى هذه الفترة يعود تاريخ المقالة التي تروى عن نبطالي بوشناق: "يقوم موتى باب الوادي قبل أن تخرج حبة واحدة من القمح" والتي اتخذ منها الفرنسيون دليلا على تعارض مصالحهم التجارية على طول الخط مع تجارة اليهود⁽¹⁾.

بعد عودة رئاسة الطائفة اليهودية بالجزائر إلى أسرة بكري بتعين يوسف على رأسها، عاد يعقوب بكري إلى الجزائر سنة 1803م، حيث دخلت مسألة الديون إلى المقدمة من جديد. ففي عام 1811م، أثارت الحكومة الجزائرية موضوع الديون، وكان بكري يقدر ديونه بما يزيد عن اثني مليون فرنك مبلغ الفوائد يقدر بـ 4 ملايين فرنكا⁽²⁾.

لكن يعقوب بكري قدم حساباته في اجتماع ديوان البحرية في 29 فبراير عام 1816م، حيث قرر مبلغ الدين بفوائده ما يزيد عن 12 مليون فرنكا. وفي 28 أكتوبر 1819م، وقع الاتفاق بين الحكومتين على تصفية الديون، تنص على أن تدفع فرنسا للتاجرين يعقوب بكري وميشال بوشناق، ما قيمته 7 ملايين فرنكا. موزعة قسما، مبلغ كل واحدة منها حوالي 583.333 فرنك تدفع أسبوعيا بدأ من أول مارس 1820م⁽³⁾.

وإلى غاية شهر ماي 1829م، بقيت مسألة ديون بكري عالقة، وهو ما دفع الداي حسين إلى مكتبة الحكومة الفرنسية أمر الأموال، ولكن لم ترد

جمال، قنان، العلاقات...، المرجع السابق، ص 293.

2) Esquer, les commencements..., op.cit, P.28.

3) ibid, PP.43-44.

فرنسية، بالإضافة إلى إرسال رسالة باللغة العبرية من طرف وكل المرح إلى أحد العملاء في مرسيليا. كما أنه ينتظر وصول رسائل كثيرة من نشاط السفن الحربية الجزائرية من العملاء اليهود في كل من مرسيليا وفورنة والمنسق في هذه العمليات اليهودي ابن دوران المقيم بالجزائر⁽¹⁾. إن الاهتمام بدور بكري وبوشناق واستخدامها لأغراض دبلوماسية تعكسه رسالة وجهها دوفوز (Devoize) قنصل فرنسا في تونس إلى تاليران في 14 مارس 1799م جاء فيها ما يلي: "إذا أرادت حكومة المديرية أن تكظم غيظها وتعقد سلاما مع الجزائر، فهي لا تحتاج إلا إلى تدخل بكري وبطريقة سرية لهذه المهمة، فإن هؤلاء اليهود لهم نفوذ قوي على شؤون الأيالة، بفضل ثقة الداوي فيهم هو ووزراؤه الذين يملكون مصالح حيوية في مضاربهم التجارية"⁽²⁾.

عندما توفي الداوي حسن في 14 ماي 1798م، خلفه مصطفى ابن شقيقه، ولم يكن لهذا الأخير أي حظ من التعليم، وحسب اسكير (Esquer)، فإن بوشناق كان وراء انتقال مصطفى من كناس إلى خزناجي ثم إلى رتبة الداوي، ولهذا لقب "بملك الجزائر"⁽³⁾.

ويشير دي غرامون أنه كان لمصطفى باشا حظوة عند بوشناق الذي كان له الفضل في تعيينه في هذا المنصب والذي حكم في مكانه خلال فترة حكمه⁽⁴⁾.

ويذكر كاتكارت بأن اليهود أنوا دورا خطيرا في المغاوضات الجزائرية الأمريكية، ولا سيما اليهود كوهين بكري الذي حضر جميع المقابلات التي أجراها القنصل الأمريكي دونالدسون (Donaldson) مع الداوي، وحيث كلف بكري بحمل رسالة الداوي وتتضمن عدة مطالب منها

على منطقة سيبلا⁽¹⁾. وفي سنة 1795م رفعه إلى رتبة باي قسنطينة خلفا

لحسين بوحناك (1792-1795)⁽²⁾.

وبدیهی أن الوزناجي بعد هذه الخدمات، أصبح يدين بالولاء لولي نعمته بوشناق، وفتح جميع الأبواب للشركة اليهودية في مقابل مضايقة المؤسسات الفرنسية، فاستحوذت مؤسسة بكري وبوشناق على احتكار تجارة الحبوب والجلود والأصواف والشموع التي دخلت أسواق شرق الأيالة⁽³⁾.

أما خارج الأيالة، فإن الشركة قد فرضت نفسها في كثير من البلدان الأوروبية، وعينت ممثلين لمصالحها في أهم موانئ البحر الأبيض المتوسط، وإنما توصلت إلى ذلك بفضل ما كان لبوشناق من تأثير على الداوي وأعرانه. فلقد كان يتفاوض باسم الجزائر، مع ممثلي تلك الدول، يسلم من يشاء ويعطى الحرب ضد من أراد⁽⁴⁾.

كان بوشناق يتعامل مع جميع قناصل البلدان الأجنبية، واستطاع ممثله سيمون أبوقية أن يرشح شخصيات فرنسية في لجنة الإنقاذ الوطني يوم 12 جويلية 1795م، وقد كلف شخصيا من طرف الداوي ليراعي مصالح الجزائر في باريس⁽⁵⁾.

وللمحافظة على هذه السلطة وإبقاء التجارة في حوض البحر الأبيض المتوسط خاضعة له، كانت الشركة تقدم للديوان خدمات جليلة في ميدان المخابرات، وتطلعا إحدى الوثائق عن حجم هذه الاستخبارات: ففي رسالة من محمود بن أمين السكة وكيل الجزائر في تونس بتاريخ 20 محرم 1243 هـ/1828م، يخبره فيها على استيلاء الأسطول الجزائري على سفينة

1) Mercier(E), Histoire de Constantine, J. Merle, 1903, P.440.

2) محمد الصالح، المنتري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها (قديم و تليق: يحيى بوعزین، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1991، ص 67-68.

3) Masson, op.cit, P.57.

4) Esquer, les commencements..., op.cit, P.20.

5) Plantet, op.cit, T2, P.453.

(1) مجموعة الوثائق الوطنية، الجزائر: المكتبة الوطنية، رقم 1903، ورقة 4.

2) Esquer, les commencements..., op.cit, P.21.

3) ibid, P.20.

4) Grammont, Histoire..., op.cit, P.355.

علاوا عليا باللباس وقصور تدهش

والسلم في ضم الحيا

يعطى الجزية والكفر يقوي ويعرش⁽¹⁾.

وبفضل دهاء نبطالي بوشناق أصدر الداى مصطفى بلشا نور بتاريخ

13 فبراير 1800م يقضى بتعيين بوشناق رئيسا للجانبة اليهودية بالمغرب

بدلا من إبراهيم بوشناق الذي كان على رأسها منذ ثلاثين سنة خلت⁽²⁾.

وفي عهد الداى مصطفى فإن بوشناق أصبح الحاكم الفعلي للولاية، حيث كان يعين من يشاء في وظائف الحكومة ويحدد قيمة الضرائب وأسعار السلع. وكان يستقبل باسم الداى القاضل الأجانب، كما فعل مع

قنصل الدانمارك والسويد وهولندا عام 1801م، وأن يقدم للداى في 17 جانفي 1801م أوراق اعتماد القنصل الفرنسي الجديد دييوا تانفيل (1800-

1814). وفي 28 أوت 1803م، استقبل مبعوث البرتغال، السيد جوزيف دي بريتو (J. De Breto)، الذي كلف بالتفاوض بشأن السلام مع الجزائر⁽³⁾.

وفي 11 جانفي 1804م استقبل مبعوث السلطان العثماني الذي كلف

بمهمة صعبة لدى الداى، واضطر إلى التحدث مع بوشناق قبل أن يمثل أمام الداى، مما جعل القنصل الإسباني يطلق على اليهودي اسم: "تائب

ملك الجزائر"⁽⁴⁾. وحسب ما أورده هادي فإن بوشناق سيطر على الداى

مصطفى بفضل كفاءته ومهارته بالأمور والعلاقات ولكنه أضر بمصالح الجزائريين ومس بمقدساتهم⁽⁵⁾.

1) Cour, (A), «Constantine en 1802, d'après une chanson populaire du Cheikh Belkacem er-Rahmouni et Haddadi», in, R.A(N°60), 1919, PP.223-240.

2) Eisenbeth, op.cit, P.374.

3) Bloch, (Isaac), inscriptions tumultueuses des anciens cimetières Israélites d'Alger, Paris, J. Durlacher, 1888, P.95.

4) Ibid, P.96.

5) Eisenbeth, op.cit, P.175.

دفع مبلغا كبيرا من المال والعائد الحربي كما نصت عليه بنود المعاهدة⁽¹⁾. وقد صرح كاتشارت أحد الأسرى الأمريكين في الجزائر (وكان يعمل في قصر الداى)، أنه قام بحسابات تثبت أن اليهود بالجزائر اخذوا من الولايات المتحدة الأمريكية خلال الفترة الممتدة من 1795 إلى 1801م مبالغ مالية لا تقل عن 75 ألف دولار⁽²⁾.

ومما تجدر الإشارة إليه أن باي وهران محمد بن عثمان (1808-1813) الملقب "بيوكابوس" أو المسلوخ حينما قام بثورة انفصالية عن السلطة المركزية وانتمى سرّيا إلى الطريقة الدرقاوية، وأعلن تحالفه مع السلطان العلوي مولاي سليمان (1792-1822) وهذا في عهد الداى الحاج علي، اتصل باليهودي داوود كاييزا المقيم بوهران منذ 1792م وكلفه بمهمة شراء الأسلحة والبارود ما قيمته 200 قنطار من إسبانيا⁽³⁾. وبعد فشل الثورة تمكن اليهودي من اللجوء إلى جبل طارق حاملا معه كنوز الباى⁽⁴⁾.

وقد صور لنا الشعر الشعبي هذه السيطرة والحظوة التي تمتع بها هؤلاء اليهود في تسير أمور البلاد والعبث بأموال البلاد إذ يقول الشاعر الرحومني⁽⁵⁾.

وإش تنظروا فيها هلكات

راهي فسدت

مابقات تسمى بلدة

اليهود جات ليهم محبة

1) كاتشارت المصدر السابق، ص 181-182.

2) شارل، المصدر السابق، ص 146.

3) مولاي، بلحيسي "الثورة على الأتراك في الجزائر، شواهد مستقاة من وثائق إسبانية لم تنشر"، مجلة الثقافة، العدد 76، الجزائر: نوفمبر-ديسمبر 1978، ص 40.

4) شارل، المصدر السابق، ص 180.

5) القصيدة من الشعر الشعبي (المحزون) وتضم ثمانية وستين بيتا، تعرضت خلالها لأحوال قسطنطينية في مجالات شتى.

والسحب الجاني بهدوء إلى معسكر، حيث بقي معتصما به إلى أن جاء العفو من الداي الذي أرسل له بسبخته رمزا للعفو عنه⁽¹⁾، وقد استقبل اغتيال بوشناق بارتياح كبير لدى الناس، حيث كانوا ينظرون إليه على أنه المتسبب في المجاعة التي تعاني منها البلاد، لقيامه بتصدير الحبوب إلى الخارج بكميات كبيرة زمن الرخاء. وما أن دأب خير مقتل بوشناق في المدينة، خرج الشعب في ثورة عارمة، تبعها نهب الحي اليهودي وتخريب بعض المحلات التجارية، وقتلوا حوالي اثنين وأربعين شخصا⁽²⁾.

وقام الخزناجي بحملة قمعية شديدة ضد من اشتبه فيهم بالتورط في أعمال القتل والنهب ضد اليهود، فاستدعى رئيس الشرطة وطلب منه إلقاء القبض على كل مشتبه فيه وطلبه على أن لا يقل عدد من يطلب منهم يوما عن عشرة أشخاص حسب رواية الزهاري: "وإذا نقص واحد من العشرة أصابك مكانه، فأخذ في قبض المسلمين وصلبهم... واستمر ذلك في البلاد أياما"⁽³⁾.

ولاستغل أحد خروجه هذا الاستياء فعمل على تأليب الناس ولجئ ضد الداي والخزناجي، وحبك المرأة مع عناصر من الجيش للبرع على كرسي اللائكية، وقد تمت مبايعته في نفس اليوم الذي قتل فيه مصطفى باشا، وذلك يوم الجمعة 5 جمادى الثانية 1220هـ الموافق لـ 29 أوت 1805م⁽⁴⁾.

(1) Grammont, Histoire..., op.cit, P.361.

(2) تضاربت الأرقام حول عدد ضحايا هذه الحوادث من خسين إلى مئتي قتيل، والمعرف أن تضارب التواريخ يمكن من إتخاذ حوالي 200 يهودي في مفرقتين.

أنظر: Grammont, idem

(3) ابن: الشريف الزهاري، المصدر السابق، ص 88.

(4) نفسه.

المصدر نفسه، ص 89-95.

ويتحدث صاحب كتاب نظرة حول يهود الجزائر عن نفاطلي بوشناق بأنه كان في اتصالات مباشرة مع ممثلي الدول الأوروبية، كما كان الوسيط الرئيسي في كل مرة يتفاوض فيها داي الجزائر الذي يقدمه لهذا هذا القضايا نظرا لخبرته في شؤون العلاقات والمفاوضات⁽¹⁾.

وفي سنة 1805م وقعت مجاعة كبرى في الجزائر، وبدا من أن تقوم شركة بكري وبوشناق بمساعدة السلطات لتخطي الأزمة وتوفير الغذاء للسكان، كانت المحاصيل الزراعية تصد من الريف الجزائري نحو لفورنة ومرسيليا من طرف هذه المؤسسة التي سيطرت على تجارة الحبوب وهو ما يفسر فقدان الأسواق الداخلية للجزائر لهذه المادة الاستراتيجية لغذاء السكان⁽²⁾.

وقد تحول سخط الأهالي إلى ثورة عارمة من جراء هذا الاستغلال الشيع لخيرات البلاد. ففي سنة 1800م: "أصبحت الجزائر بمجاعة كبرى ووقعت الحاجة إلى الأقوات، فأمر الداي لتموين البلاد، بالذهاب إلى موانئ البحر الأسود لشراء القمح، وقد بيع ذلك القمح بثمانية وعشرين فرنكا للصالح للوحد وعلى الرغم من ذلك كان لابد من تصيب الجنود عند باب كل مخزن"⁽³⁾.

وتماز الثورة التي تعرض لها اليهود في سنة 1805م بحلتها وخطورتها، لما خلفته من ضحايا وما نتج عنها من تدمير وهجرة جماعة لليهود إلى الخارج. فقد ابتدأت هذه الثورة يوم 28 جوان 1805م، عندما قتل التاجر نفاطلي بوشناق رئيس الطائفة اليهودية، عند خروجه من قصر الجينية على يد جندي، الذي أطلق عليه النار قائلا: "تحية إليك يا ملك الجزائر"⁽⁴⁾.

1) Jean, Hanoune, Aperçu sur les Israélites Algériens et sur la communauté d'Alger, J.Carbone, Alger, 1922, P.28.

2) Berbrugger,(A), «l'Affaïre Bakri d'après un document inédit», in, R.AON°13), 1869, P.P.60-63.

(3) حسان، خوجة، المصدر السابق، ص 160.

4) Bloch, op.cit, P.99.

الموصل الثالث

شؤون الجيش الأهلية

لقد اهتمت ليللة الجزائر بمسألة التجنيد في أواخر العهد العثماني، وبالرغم من هذه السياسة فإن هذا لم يساهم في عملية بناء جيش نظامي ويعتمد عليه في الأزمات، بل ساهمت عملية فتح باب التجنيد في تكوين فرق من المرتزقة هتمها لوجبة جمع الأموال. ولقد حضر إليه الأوضاع المالية للجزائر خلال الفترة المتكبرة وتعدده منصوصا تصاريه وتحديث النفقات، ظهر عجز مالي كبير، ربما يلحظ في هذا السبيل أن الدولة اهتمت بالجانب المالي في تسيير الإدارة مع عدم اهتمام المالية كانت أهم ما يطلب من الموظفين عند القيام بوظائفهم.

وقد جمعت هذه المهام نشاط الموظفين في مختلف الأملاك وحظيت بعيشون في ظل الخوف من إجراءات العزل والتفريق. ويتكاسح معها الوحيد هو التمكن من جمع أكبر كمية من المال في أقصر وقت حسب تعبير كورلوب⁽¹⁾.

ومن هذه الاستنتاجات يتضح أن المؤسسة العسكرية خلال العهد العثماني لم تكن بمعزل عن هذه القضايا المالية، والتي أثرت فيها بشكل كبير، جعلت العديد من أفراد الجند يفرون من مكنتهم خارج الجزائر. ونستشف خلفيات هذه الأحداث من الفرمان الصادر عن السلطان محمود الثاني بتاريخ 11 ربيع الأول 1242م/أكتوبر 1826م، إلى حاكم تونس حسين باي (1824-1835) يطلب منه منع الجنود الهاربين من ليللة الجزائر من الإقامة أو عبور أراضي تونس، ويجب تسليمهم فوراً إلى وكيل الجزائر بتونس المكلف بالتجنيد⁽²⁾.

(1) Colombe M., *l'Algérie Turque*, in, *Initiation à l'Algérie*, Maison Neuve, Paris, 1957, pp 115-116.

(2) مسج 3190، الملف الأول، ورقة 190.

وكان لهذه الحادثة تأثير سببي في الأوساط اليهودية بالجزائر، إذ لمّا منهم حوالي 200 شخص إلى مركب للفصل الفرنسي، كما هاجرت ليللة من مدينة الجزائر 100 عائلة يهودية إلى تونس على متن سفينة فرنسية وفي 10 جويلية 1805م هاجرت 200 عائلة بما فيهم أفراد عائلتي بوشموني ويكوري إلى المغرب⁽¹⁾.

وهذه الثورة مع أنها تبين الجانب السلبي من حياة الجالية اليهودية بالجزائر، إلا أنها في نفس الوقت تعبر بصديق عن بقاء هذه الجالية تخلصا على المجتمع الجزائري المسلم، إذ لا يربطها ببقية السكان سوى المصالح المالية التي كانت تحصل عليها من الأعمال التجارية والصفقات الاقتصادية المربحة، والتدخل في الشؤون السياسية والعسكرية للبلاد.

(1) André, Chouragui, *Marche vers l'occident, les Juifs d'Afrique du Nord*, P.U.F., Paris, 1952, P.84.

أولاً: فشل سياسة التجنيد:

عرفت إيالة الجزائر منذ مطلع القرن التاسع عشر اختلالاً في التوازن المالي، وبالرغم من النجاء الحكام إلى الزيادة في إنعاش الخزينة بواسطة الضرائب، بالقوة العسكرية، مع محاولة إحياء نشاط البحرية بتشجيع غزوات الـريس حميدو وملامة الظروف الدولية التي كانت وراء حروب وتوسعات نابوليون الأول في القارة الأوروبية، كل هذه العوامل ساعدت بقسط وافر في تخفيف العجز المالي للإيالة بين سنتي 1805 و1815م بأرباح بلغت ثمانية ملايين فرنك⁽¹⁾. لم تكن لهذه الوسائل أي مظهر إيجابي، بل ساهم ذلك في نشوب ثورات عديدة وجبت في الزوايا وسيلة للتعبير عن كراهيتها للسلطة الحاكمة، مما أجبر عنه تناقص في عدد المجندين الوراقين من المشرق، والذين عجزت الإيالة عن توفير مرتباتهم وتسديداتها في الأجال المحددة.

وبفحص الوثائق العثمانية انضح أن بعض الدايات عجزوا عن تسديد مرتبات الجند. وهذا ما تؤكد رسالة الداي عمر باشا، إلى السلطان محمود الثاني متحدثاً عن ذلك: "إننا ملزمون على دفع أتاوات ما بين ثلاثين وأربعين ألف إنكشاري، ففي سالف الزمن كنا ندفع أجورهم على دفعة واحدة، ولكن منذ عشر سنوات لم تتمكن من مضاعفة أتاواتهم، كذلك كنا نسدد أجور كل شهرين، أما اليوم فإن تسديد أتاواتهم يتم مرة واحدة كل أربعة أشهر بالنسبة للبعض، وستة أشهر بالنسبة للبعض الآخر، وقسم ثالث تسدد أجورهم كل سنة... يا حضرة السلاطان بالنظر إلى قلة عدد الإنكشاريين، فإننا نطلب منكم أن ترسلوا لنا عدد من الجنود من الأقاليم..."⁽²⁾.

(1) حول نشاط الـريس حميدو، راجع:

Devoux, «un exploit des Algériens en 1802», in, R.A., (N°9), 1865, PP.126-127.
Devoux, «les registres des prises maritimes», in, R.A., (N°16), (1872), PP.70-80.

(2) عبد الجليل، التقيي، بحوث...، المرجع السابق، ص 142.

وتعتبر الوثائق العثمانية في حالات كثيرة عن تعزيز اصحاح لحدود مثل سياسة التجنيد التي تتبعها الإيالة، وهذا ما نرى في حالات الميقات المتغيرة لمصلحة تلك في خصوص تغييرها المصدر لوجت لحدود هذه القضية، وبإرصاد حسين آغا محلة الغرب إلى حسين داي في 2 ذي الحجة 1243هـ رسالة من حسين آغا محلة الغرب إلى حسين داي في 1242هـ/1826م، يبلغه عن إرساله بخبره عن غياب اثنين وثلاثين جندياً⁽¹⁾. ونص آخر: رسالة من إسماعيل آغا محلة الشرق إلى حسين داي في 1242هـ/1826م، يبلغه عن غياب خمسة وعشرين جندياً من المحلة⁽²⁾. وتكرر لنا وثيقة أخرى: رسالة مصطفى آغا ثوية مستعالم إلى حسين داي في 20 ذي القعدة 1244هـ/1829م، يبلغه عن نقص اثنين وأربعين جندياً من جنود الثوية⁽³⁾.

إن الخوف من انقطاع عمليات التجنيد، جعلت إيالة الجزائر، تعمل على تحسين علاقاتها مع الباب العالي باستمرار، ذلك أن السلطات العثمانية كثيراً ما استعملت ورقة التجنيد كوسيلة للضغط على الجزائر.

ففي عام 1798م جدد احتلال بونابرت لمصر - أصدر السلطان أمر إلى الداي مصطفى باشا يأمره بإعلان الحرب على فرنسا والعمل على إلقاء القبض على كل الرعايا الفرنسيين الموجودين بتراب الإيالة أو سجنهم وبالإستيلاء على سفنهم أو إغلاقها مع سجن قنصل⁽⁴⁾ فرنسا في الجزائر⁽⁵⁾. وبالرغم من مطالب السلطان الملحة إزاء هذه القضية، تغاضت الجزائر على مثل هذه الأوامر، فأصدر السلطان فرماناً بوجبه تمنع سفن

¹ سج 3190، الملف الأول، ورقة 267.

² سج 3190، الملف الأول، ورقة 223.

³ سج 3190، الملف الأول، ورقة 320.

⁴ فشل فرنسا جان فون سانت أندري (J. Von saint, André) (1796-1798م).

⁵ سج 3190، الملف الأول، ورقة 65.

خلال جدول قُوم المتطوعين إلى الجزائر، إن أعداد المجندين
وتلاحظ من غالية الاحتلال الفرنسي سنة 1830م كان في تآلق مسنر
1801م وإلى غاية 1801م إعطاء حركة نشيطة لهذه العملية⁽¹⁾.

جدول قُوم المتطوعين (1801 - 1830م) إلى الجزائر -

التاريخ	عدد المجندين	المعدل السنوي
1801 - 1809 م	2264	251 مجندا
1810 - 1820 م	4115	411 مجندا
1820 - 1830 م	4154	415 مجندا

والظاهر أن الأرقام الواردة في دفتر أجور الانكشارية لا تعكس لنا
واقعة عدد المجندين في الإيالة ويبدو هذا من خلال إحصاء محمد باشا
حقيقة عدد المجندين في عهده أربعة آلاف مجند منهم سبعمائة
(1815م)، الذي وصل عددهم في عهده أربع مائة مجند منهم سبعمائة
خارج الخدمة⁽²⁾، وبسبب قُوم متطوعين جد بلغ عدد المجندين في عهد
الداي عمر 1290م مجندا جديدا⁽³⁾. ويذكر القنصل الأمريكي شالر أن
علي باشا قتل من الإنكشارية ألف وخمسمائة⁽⁴⁾، أما الذين تمكنوا من
الفرار فيذكر الشريف الزهار أنه جهز لهم الحاصلات لمطاردتهم في جميع
أنحاء الإيالة بعد أن قتل منهم خلقا كثيرا بيده ونفي بعضهم⁽⁵⁾.

- 1) Colombe, «contribution»..., op.cit. P.180.
2) Boyer, (Pierre), la vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention Française, Paris, Hachette, 1963, P.94.

⁽³⁾ عبد الجليل، التميمي، بحث... المرجع السابق، ص 59.

⁽⁴⁾ شالر، المصدر السابق، ص 176.

⁽⁵⁾ الزهار، المصدر السابق، ص 136.

والتي كانت مكتظة بالجنود حسب تعبيره، وبعد اجتياح الطاعون بعبية
الجزائر في تلك السنة، ملك الجند، فأصبحت التكتلات شبه خالية⁽¹⁾.

ومن خلال رواية الزهار نستشف عناصر أسباب انتشار وباء
الطاعون بمدينة الجزائر، الذي يرجع بالدرجة الأولى إلى عنصر
الوافدين المتطوعين القادمين من مدن الأناضول حيث يذكر لنا: "وفي
سنة 1201هـ/1786م، جاء الوباء للجزائر، حتى وصل عدد الأموات
أحيانا خمسمائة جنازة كل يوم، ويسمى بالوباء الكبير، قيل أنه أتى من بر
الترك في مركب مع رجل يدعى ابن سمالية، وطال الوباء بالجزائر إلى
سنة 1211هـ/1796م...⁽²⁾". وحسب بربورجر فإن وباء الطاعون جاء من
طرف البحارة القادمين من اسطامبول⁽³⁾.

ولم يقتصر دور الأمراض الفتاكة في تناقص عدد أفراد الجيش، بل
ساهمت الثورات في إنهاكه، بالإضافة إلى إحالة الكثير ممن تقدموا في
السن إلى التقاعد أو العجز عند القيام بأداء الواجب العسكري.

بإمكان القارئ أن يستشف من خلال الإحصائيات الخاصة بالتجنيد،
الصعوبات التي كانت تواجهها عمليات جلب المتطوعين إلى الجزائر،
وهذا منذ مستهل القرن التاسع عشر.

(1) كاتكارت، المصدر السابق، ص 100.

(2) الزهار، المصدر السابق، ص 51.

واللاحظ أن مدينة الجزائر قد عرفت طوال العهد العثماني ثلاث موجات متتالية من وباء الطاعون،
الرحلة الأولى (1778-1788م)، والثانية (1792-1804م)، والثالثة (1816-1822م)، - للمزيد راجع:
N.Saidouni, op.cit, PP.358-367

(3) Berbrugger, «un mémoire sur la peste en Algérie depuis 1552 jusqu'en 1819»,
in. exploitation scientifique de l'Algérie, 1847, T2, P.225.

الانكشارية من طرف الباب العالي وسماح السلطات العثمانية بإخطار الجنود لإرسالهم إلى الإيالة، وهذا ما مكّنه من جمع ما بين 3000 جندي متطوعاً⁽¹⁾. ومن الواضح أن تناقص عدد أفراد الجيش عسبه الاختلال كان في تزايد مستمر، وهذا ما سجله رين (Rim)⁽²⁾:

المنطقة	عدد الجنود
مدينة الجزائر	345 جندياً
باليك الليطري	50 صبايحياً (فرساً)
	120 جندياً
وهران	156 جندياً

واستطعنا أن نرصد من واقع الوثائق لحطاط قيمة التجنيد الذي صُلح به بين صفوف الانكشارية المسرحين عن الخدمة في الأناضول حيث تشير الوثيقة: "رسالة من الحاج خليل باش دائي الجزائر في أزمير إلى حسين باشا بتاريخ 13 جمادى الثانية 1242هـ/ ديسمبر 1826م، يخبره عن الصعوبات التي صارت تعرف عملية تجنيد المتطوعين بسبب إغناء النظام الجديد في الدولة العثمانية. وأن التجنيد صُلح يتم بين صفوف الانكشارية المسرحين ويعلمه بإرسال خمسين متطوعاً إلى الجزائر⁽³⁾.

² Rim, (Loulis), «le royaume d'Alger sous le dernier Dey», in, R.A(N°41), 1897, pp 136-142.

¹ مجموعة 3190، الملف الأول، ورقة 257.

1) Grammont, Histoire..., op.cit, PP.381-382.
2) Erkütment, Kuran, «La lettre du dernier Dey au grand Vizir de l'empire Ottoman», », in, R.A(N°96), 1952, P. 192.

³ يشرح السلطان محمود الثاني عام 1826م بإصلاحات عميقة داخل النظام الجديد على غرار التنظيمات العسكرية الأوروبية. لكن مشروعه باء بالفشل رغم إغتياله على يد عناصر الجيش.

وقد استعان الداي على فوجية بجموع الكراخلة وفرق زواوة عام 1817م لقمع ثورة الانكشارية، والتي ذهب ضحيتها حسب تعبير دي غرامون (De Grammont) حوالي ألفين ومائتين من الجنود، من بينهم مائة وخمسين ضابطاً، إلى جانب لخازن تاير صارمة أهمها توقيف التجنيد من المشرق⁽¹⁾. ويبدو أن محاولة الداي حسين الرامية إلى تنشيط عملية التجنيد داخل الإيالة، كانت وراء حادثة المروحة عام 1827م، حيث تشير رسالة الداي حسين إلى الصدر الأعظم في نفس السنة والتي يلتبس من خلالها السماح بجمع المتطوعين لفائدة الجزائر: "منذ عدة سنوات لم تحصل الأوجاق على فرق عسكرية من الأناضول، وهو في حاجة إلى فرق تركية، ولهذا نرجو من حضرتكم الموافقة على إرسال بعض الفرق من المتطوعين من أزمير والمناطق الساحلية للإمبراطورية"⁽²⁾.

ومن خلال رصد الوثائق العثمانية استطعنا أن نسجل مدى الاهتمام الكبير الذي أبدته حكومة الباب العالي بخصوص إرسال متطوعين جدد إلى الجزائر، وخاصة بعد إصلاحات 1826م⁽³⁾. وفي هذا السياق تشير وثيقة بتاريخ 13 جمادى الثانية 1242هـ/ ديسمبر 1826م: "رسالة الحاج حسين باش دائي الجزائر من مدينة أزمير يعلم فيها بإنشاء نظام

العدد	الفترة	المصدر
1800 رجلا	1536 م	(1) إسبانية
12000 رجلا	1619 م	وثيقة سرية إسبانية (2)
6000 رجلا	1624 م	Gramaye (3)
22000 رجلا	1634 م	Haedo (4)
ما بين 1500 و 16000 رجلا	1734-1720 م	Dan (5)
12000 رجلا	1724 م	Shaw (6)
12000 رجلا	1725-1724 م	Tassy (7)
		طاسي (Peyssonnel)

الشركة

الجناز: الجزائر، 1792-1492

2) Gramaye (de Jean, Baptiste), les cruautés exercées sur les chrétiens dans la ville d'Alger en barbarie, Paris, 1620, P.201.

3 Haedo, «Topographie et histoire générale d'Alger», tradition(Monmureau et Berbrugger, in, R.A(N°14), 1871, P.490.

4) Grammont, Histoire, ..., Op.cit, P.240.

5) Shaw, (Dr), Voyage dans la régence d'Alger ou description géographique, augmentations par J.Mac carthy, Paris, Malin, 1830, P.186.

6) Tassy, (Jaugier de), Histoire du royaume d'Alger, Paris, éd Loysel, 1992, P.57.

7) Peyssonnel, et Desfontaines, Voyages dans les régences de tunis et d'Alger, Pub.par M.Delureaud de la maille, Paris, Gide, 1838, P255.

وبإمكان القارئ أن يستشف من مصدر معاصر للأحداث أمثلة على ذلك: كان من أسباب انحطاط البلاد إرسال مندوبين إلى أمير يجمعون الأجناد، وبدلاً أن يتبع هؤلاء المندوبون الطريقة القديمة التي لم تكن تسمح بأن يجد في الميليشيا إلا الرجال الزهراء الذين لهم جاه ومكانة، فإنهم كانوا يفتحون أبواب الميليشيا لأي كان حتى لأتاس كانوا قد أدبوا وأدينوا. وكان يوجد من بين المجندين يهود ويونانيون خضتوا أنفسهم... صارت تلك الميليشيا التي لا مبدأ لها ترتكب المخالفات ضد البتو والقبائل، ثم قام هؤلاء البؤساء بإشغال الثورات وقلب قادة الدولة بحسب هواهم⁽¹⁾.

وتعتبر سياسة التجنيد إحدى العوامل الأساسية التي كانت وراء تدهور الأوضاع وفساد المؤسسة العسكرية، فبعدها كان الجيش يدافع عن البلاد، أصبح مصدر ومنبع الفرض والقلاقل. وبالرغم من ذلك ظل باب التجنيد مفتوحاً حتى أواخر الحكم العثماني بالجزائر، حيث تكشف لنا وثيقة هي عبارة عن رسالة من محمود بن أمين السكة وكيل الجزائر في تونس إلى إبراهيم وكيل الحرج في 26 رجب 1241هـ/1826م، يخبره فيها بوصول سفينة إلى حلق الوادي بتونس وعلى متنها 84 متطوعاً جديداً متوجّهين إلى الجزائر⁽²⁾.

ولأخذ فكرة تقريبية عن عدد القوات النظامية البرية العاملة في إيالة الجزائر خلال فترات مختلفة، نثبت الجدول التالي:

(1) حندان، خوجة، المصدر السابق، ص 149.

(2) مع 1903، ورقة 41.

فہرست

انکار آیات خبر آور

٢٠٠

أولاً: مشاريع فرنسا
الحملة الفرنسية على الجزائر إلى عهد الثورة الفرنسية⁽¹⁾، فقد تعد مشاريع البحرية من جان فون سانت أندري القنصل الفرنسي الأسبق لطلب وزير الإجابة على عدد من الأسئلة تتعلق بالوضع العسكري والحالة السياسية للجزائر، ولأنه طلب من وزير البحرية الاستفادة من تقرير دوكرسي (De Kersey) حول مشروع تجديد حملة ضد الجزائر، وعن ملقعية الحصون، وحدد القوات البرية والبحرية بتحصينات مدينة الجزائر، وعن تلك الفترة⁽²⁾.

١٠
 ١١
 ١٢
 ١٣
 ١٤
 ١٥
 ١٦
 ١٧
 ١٨
 ١٩
 ٢٠
 ٢١
 ٢٢
 ٢٣
 ٢٤
 ٢٥
 ٢٦
 ٢٧
 ٢٨
 ٢٩
 ٣٠
 ٣١
 ٣٢
 ٣٣
 ٣٤
 ٣٥
 ٣٦
 ٣٧
 ٣٨
 ٣٩
 ٤٠
 ٤١
 ٤٢
 ٤٣
 ٤٤
 ٤٥
 ٤٦
 ٤٧
 ٤٨
 ٤٩
 ٥٠
 ٥١
 ٥٢
 ٥٣
 ٥٤
 ٥٥
 ٥٦
 ٥٧
 ٥٨
 ٥٩
 ٦٠
 ٦١
 ٦٢
 ٦٣
 ٦٤
 ٦٥
 ٦٦
 ٦٧
 ٦٨
 ٦٩
 ٧٠
 ٧١
 ٧٢
 ٧٣
 ٧٤
 ٧٥
 ٧٦
 ٧٧
 ٧٨
 ٧٩
 ٨٠
 ٨١
 ٨٢
 ٨٣
 ٨٤
 ٨٥
 ٨٦
 ٨٧
 ٨٨
 ٨٩
 ٩٠
 ٩١
 ٩٢
 ٩٣
 ٩٤
 ٩٥
 ٩٦
 ٩٧
 ٩٨
 ٩٩
 ١٠٠

[illegible]

1789 م. الفريسية

هناك مشاريع فرنسية أخرى جارية
 (1) أنظر: Alfred, Nettement, Histoire de la législation, Librairie Paris, 1901.

2) De K. *op. cit.*, pp. 105-115.

op.cit., pp. 117-118.

(1) (Fau) فو	1729 م	20000 مشاة و فرسان
(2) (Standari) ستانداري	1764 م	7000 رجلا
(3) (N.de Paradis) فلنوردي برادي	1788 م	ما بين 7000 و 8000 رجلا
(4) (Kercy) كيرسي	1791 م	10000 رجلا
(5) (Boutin) بوان	1808 م	10000 رجلا
(6) (Dubois Thainville) دي بوانفيل	1809 م	10000 رجلا
(7) (Shaler) شالر	1824-1816 م	4000 رجلا
(8) (Tachrifat) تشرفات	1829 م	3861 رجلا

... addition de l'Algérie. *Alger*. A. Jourdan, 1887, P255.

(2) سلفاتور، يونيو، "العلاقات بين الجزائر وإيطاليا خلال العهد التركي (أوجيعة: أبو القاسم الشاذلي)، مجلة الأضالة، العدد 6-7، الجزائر 1972، ص 117

3) V. De Paradis, *Tunis et Alger au VIII^e siècle*, Paris, Sindbad, 1983, P.109.

Paris 1927, p. 104.

5) Boulin, *Recommandation* 1977, pp.44-45.

Paris, champion, 1927, *Pr.* 44-45.
6) Dubois, Thainville, *Mémoire sur Alger* 1809, pub. par, G. Esquer, Paris, champion, 1927, P. 131.

8) Tachrifai, P.36.

رئيس الأيالات المغاربية. ففي شهر سبتمبر عام 1829م وجه رئيس حملة ضد فرنسا بوليناك (Polignac) مذكرة إلى الملك شرح فيها فوائد (11) وزير فرنسا المشترك بين فرنسا ومحمد علي.

المشروع المذكور عام 1829م اقترح السفير الفرنسي باسطامبول جيلومينور وفي أكتوبر عام 1829م على السلطات العثمانية إصدار فرمان وتقديم مساعدات (Guilleminot) على شأنها يشن محمد علي حملة عسكرية على الجزائر، ولكن عسكرية، من شأنها رفض هذه الاقتراحات (2).

الباب العالي رفض هذه الاقتراحات التي هددها بشتمير ولم يتحقق المشروع بسبب التدخل الإنجليزي الذي هدد بشتمير الأسطول المصري بمجرد خروجه من الميناء، كما تردد محمد علي على الأسطول لأسباب أخلاقية ودينية، بالإضافة إلى تدخل روسيا والنمسا (3).

ثانياً: الحصار البحري للفرنسي للسواحل الجزائرية:

عرفت إيالة الجزائر أزمة سياسية واقتصادية حادة شملت أنحاء البلاد منذ مطلع القرن الثامن عشر، وهذا بموازاة التقدم الصناعي والتقني السابع مكن الدول الأوروبية من تحدي القوة الجزائرية، منذ أواسط القرن السابع عشر. ولعل السؤال الذي يطرح نفسه علينا بالحاج، هو هل هناك عوامل ساهمت في هذا التدهور والانحيار؟

إن ما توفر لدينا من معطيات يسمح لنا بإعطاء صورة واضحة عن هذه العوامل، منها تدهور بنية الجيش الذي يدل أن يكون قوة ردع

زورقا مخصصة للدفاع عن الميناء، ويتوفر الأسطول في مجموعه على 423 فوهة مدفعية (1).

وبمجرد أن أبرم نابليون معاهدة "تلسيت" - Tilsit للسلام عام 1807م، حتى وجه أنظاره إلى الجزائر، فقد قررت فرنسا إيفاد الضابط المهندس بوثان إلى الجزائر في مهمة تجسسية. وغادر بوثان ميناء طولون يوم 1808م، وعندما وصل إلى الجزائر، اتصل بالقفصل الفرنسي، لتفصيل الذي ساعده في إنجاز مهمته من خلال زيارته للأماكن الحساسة (2).

ولم يكف بوثان براسة السواحل الجزائرية فحسب، بل تسلل إلى ضواحي مدينة الجزائر، وجمع معلومات مهمة عن البلاد، كما وضع خرائط ورسومات موضحة فيها التحصينات، وعدد القوات الفرنسية الضرورة لاحتلالها.

وأكد بوثان في مقدمة التقرير الذي أعده، أن النقطتين الأساسيتين اللتين تستدعيان الاهتمام أكثر هما: اختيار المكان اللائق لإنزال القوات قرب العاصمة (ساحل سيدي فرج)، والنقطة الثانية، فإن الجزائر في نظره لا تستطيع تعبئة أكثر من ستين ألف جندي، كما حدد الوقت الملائم للإنزال فيما بين شهري ماي وأكتوبر (3). ولم يتمكن نابليون، من تنفيذ مشاريعه وتحقيق أطماعه الرامية إلى احتلال الجزائر، نظرا للمشاكل التي ظهرت في إسبانيا والحملة الروسية. وهكذا وضعت خطة غزو الجزائر في رفوف الأرشيف، ولكنها استعيت وأزيل عنها الغبار وطبقت سنة 1830م.

ومن بين المشاريع الخطيرة لاحتلال الجزائر، مشروع محمد باشا حاكم مصر، فقد اقترح القفصل الفرنسي بالاسكندرية دروفتي (Drouveti) على حكومته في سنة 1826م، أنه بإمكان محمد علي القيام

(1) جمال، قنان، العلاقات، ...، المربع السابق، ص 153-154.

(2) انظر مشروع بوثان في: PP.64-67، op.cit، Nettement.

(3) Boutin, op.cit, PP.89-90.

القوات النظامية بالجزائر 15000 رجلا،
كان عدد القوات التركية، و 7000 كرغلي وهي متوزع بدار
العنصر السنه 1830م إلى 8000 يتيمون في
منها 5092 تركي و 3450 كرغلي. والملاحظ
جندي، كانت 8542 منها 8000 يتيمون في
كانت متمركة في مدن دار السلطان، الجزائر.
هذه القوات كانت متمركة في مدن دار السلطان، الجزائر.
شمال: 2265، شرق: 90.

الغزنز وخاصة تيبس. كما عرفت البحرية الجزائرية مرحلة الضعف والأحسان. فتناقصت الأسرى وتناقصت العالم بتعداد أقوى بحرية في القرن الثامن عشر، فقصت الغنائم وقال عدد الأسرى بحرية في القرن التاسع عشر، وذلك المثل القائل: "أقوى بحرية في العالم بتعداد" (2)

حارثها وقرة اسطولها، وسبغها إلى ملبى.

وتعود عوامل الضعف الذي لحق بالبحرية الجزائرية إلى ملبى بكمري
وتعود النفوذ المالي لليهود بالإيالة حيث سيطرت مؤسسة بكمري
- قوة النفوذ المالي اليهود بالإيالة حيث سيطرت مؤسسة بكمري
- قوة النفوذ المالي لليهود بالإيالة حيث سيطرت مؤسسة بكمري
- قوة النفوذ المالي لليهود بالإيالة حيث سيطرت مؤسسة بكمري

ويؤشرك على تجارة الخشب المادة الأساسية لبناء الأسطول. كما منحهم
اللاي مصطفى حق احتكار هذه التجارة بالإضافة إلى الموانئ البحرية من
1812 إلى 1826، لم تتمكن الجزائر من

العديد للسفن الجزائرية، فما بين (3)

- 1) Tachrifat, pp. 32-35.
- 2) Petrov, 4.

21 000 21 000

60.000 دولار أمريكي

75,000

700.000 دولار أمريكي

$\frac{L}{L}$
 $\frac{L}{L}$
 $\frac{L}{L}$

في 24 أوت 1815 عينت فرنسا، بغير دوفال⁽¹⁾، قسلا جديدا
بالملاحظة أن دوفال، كان من المتحمسين لاختلال
الجزائري، والجدير الحكومه في عدة مناسبات
سهولة انزال الجنود في
الجزائر، إلى أن
الجزائريه⁽²⁾ عده قسلا

Handwritten musical notation on a single staff, featuring various notes, rests, and bar lines.

1827-1828

١٠
 ١١
 ١٢
 ١٣
 ١٤
 ١٥
 ١٦
 ١٧
 ١٨
 ١٩
 ٢٠
 ٢١
 ٢٢
 ٢٣
 ٢٤
 ٢٥
 ٢٦
 ٢٧
 ٢٨
 ٢٩
 ٣٠
 ٣١
 ٣٢
 ٣٣
 ٣٤
 ٣٥
 ٣٦
 ٣٧
 ٣٨
 ٣٩
 ٤٠
 ٤١
 ٤٢
 ٤٣
 ٤٤
 ٤٥
 ٤٦
 ٤٧
 ٤٨
 ٤٩
 ٥٠
 ٥١
 ٥٢
 ٥٣
 ٥٤
 ٥٥
 ٥٦
 ٥٧
 ٥٨
 ٥٩
 ٦٠
 ٦١
 ٦٢
 ٦٣
 ٦٤
 ٦٥
 ٦٦
 ٦٧
 ٦٨
 ٦٩
 ٧٠
 ٧١
 ٧٢
 ٧٣
 ٧٤
 ٧٥
 ٧٦
 ٧٧
 ٧٨
 ٧٩
 ٨٠
 ٨١
 ٨٢
 ٨٣
 ٨٤
 ٨٥
 ٨٦
 ٨٧
 ٨٨
 ٨٩
 ٩٠
 ٩١
 ٩٢
 ٩٣
 ٩٤
 ٩٥
 ٩٦
 ٩٧
 ٩٨
 ٩٩
 ١٠٠

[illegible]

1827
11
11

2) Roux(ch), la France et l'Asie.

complette. Paris, F. Alcan. 1832. P. 523.

٣) سبيتر، برايفر، منكيات جنائنية
عشيرة الاحفال (الرجعية) وتضميم وتضليل
٥٠ أبريل ١٩٨٧م
٤٠

(4) اضلقت الصادر في تحديد وقع حالة الموضع، فبعضها - تكونت حاليه
Nettement, on cite P 1/2

الرجاء أن الحادثة وقعت في ١٠١٤٢٠
١٩٩٨، الجرائد: دار هبة،
Hady Ahmed, Fendi

عشية الاحتلال (ترجمة وتقديم وتعليق: أبو العلياء دؤوب)
 Schieffelin, in: *Journal Asiatique*, N° 10, 1845, p. 100.

...l'Algérie), Trad. ottocar de
...1962, p. 322.

raconée par capitib, in, R.A(N°19), 1875.

$\frac{1}{2} \sqrt{2}$

$\frac{1}{2}$

$\frac{1}{2}$

$\frac{1}{2} \frac{d}{dt} \left(\frac{1}{2} \frac{d}{dt} \right)$

السلطان محمود الثاني بتاريخ 18 جويلية 1819م، جاء فيها ما يلي: ..
نريد مهنيين لتعليم صناعة السلاح للجزائريين.. كما نطلب إرسال
الذخيرة التالية: 40 مدفعا وست مدافع مهراس، و 9000 كوزة مدفع،
و 15000 قنطار من ملح البارود، و 40 فرقاطة، و ألف فوهة مدفع، و ألفين
قنطار من النحاس، و 1200 عارضة للسفن⁽¹⁾، وفي سياق الرسالة،
طلب الداي حسين من وزير البحرية العثمانية خسرو باشا السماح
لوكلاء الجزائر بالأناضول من السماح بتجنيد المتطوعين.

١٩ - قلة البحارة العاملين بالسفن بعد أن عزف الأهالي عن ركوب البحر باستثناء جماعة السباكة، حيث فضل الأتراك الخدمة في الجندية داخل البلاد (١٩)

- التحالف الأوروبي ضد القوى الإسلامية بالبحر المتوسط إثر الحروب البلقانية، وقد تمكنت الدول الأوروبية بفضل هذا التحالف من

وهذا ما ساعد على تصفية البحرية الجزائرية بججج واهية مثل إطلاق

الأمثري والإمتاع عن القرصنة.

- اختلال التوازن في الميزانية العامة للبحرية، فلم تتمكن الأتاتات من سد عجز الخزينة، حيث سجلت في عام 1822م ظاهرة خطيرة تتمثل في دفع أربع دول أوروبية للأتاتوة، بلغت 96 ألف دولار إسرائيلي⁽³⁾.

والجدول التالي يوضح لنا مصاريف الحكومة في مجال البحرية لعام

1822 (+)

(1) عبد الجليل، النقيبي: الرّجح السابق، ص 34.

3) ثالر: المدر السابق، ص 50.

(4) المصنوع نفسه: ص 51.

2) Dubois Thainville, op.cit, P. 190.

بـ 25 مدفعا	قارة	كورفوت:	1
بـ 20 مدفعا	قارة	بولاكر:	1
بـ 16 مدفعا	لعمدة الهادي	بريك:	1
بـ 16 مدفعا	لعمدة الهادي	بريك:	1
بـ 15 مدفعا	القانية	غليوط:	1
بـ 24 مدفعا	المحصورة	غليوط:	1
بـ 12 مدفعا	المحصورة	غليوط:	1
بـ 14 مدفعا	المحصورة	غليوط:	1
عدد المدافع: 268 مدفعا	11 سفينة	المجموع	

أما يتعمون (Nettement) فحددتها بما يلي⁽¹⁾:

بـ 18 مدفعا	فرقاطة من الحجم الكبير	1
من 20 إلى 24 مدفعا	كروقات	1
من 5 إلى 8 مدافع	بريك	1

وقد تمكن الفرنسيون من سد طرق المواصلات البحرية في وجه الجزائر. فحدث نقص كبير في الواردات الأوروبية، وأخذ الأهالي ينتمرون ويشكون من قلة الكسب، بالإضافة إلى الخبر الذي أساعه سكان المدينة، عن مؤامرة تحاك ضد الداي، اجتمع فيها المتآمرون في صريح سيدي بنور بجبل بوزريعة⁽²⁾.

ويعود السبب في نجاح الحصار هو فقدان البحرية الجزائرية تفوقها البحري منذ القرن الثامن عشر، فالأسطول الجزائري كان قد تعرض

1) Nettement, op.cit, PP. 160-161.

والواقع أن الرجل الوحيد من حاشية الداي الذي عمل جهادا للتصدي للبحار منذ بداية هو قائد الجيش يحيى أغا الذي سارع إلى: "تعمين المدينة، وذهب إلى سيدي فرج وبني هناك حصنا من اثني عشر مدفعا، وجعل العسة من العسكر الجديد في كل حصن وعين لهم المؤونة⁽¹⁾"، وتجب الملاحظة هنا أن وثيقة تقيدها ببقطة آغا العرب بما كان يخطط لـ الحصار، حيث أخبره وكيل الجزائر مصطفى المقيم في الإسكندرية بخبر الجاسوس الفرنسي الذي زار الجزائر ثم غادرها إلى ميناء طولون⁽²⁾.

ومن بين الترتيبات التي قام بها الداي في هذا السياق أنه أمر بـاي قسنطينة الحاج أحمد، بالاستيلاء على المؤسسات الفرنسية الواقعة في عنابة والقالة⁽³⁾.

وقد حاول الأسطول الجزائري فك الحصار الذي ضرب على موانئ الجزائر، فأمر الداي حسين بتعبئة إحدى عشرة سفينة حربية وهي معلومات كان الداي قد أخبر بها السلطات العثمانية في الصدر الأعظم في جمادى الأولى 1243هـ/ 19 ديسمبر 1827م⁽⁴⁾.

وقد حدد نوفو هذه السفن على الشكل التالي⁽⁵⁾:

نوع السفينة	اسمها	عدد المدافع
1	الطوبانية	بـ 50 مدفعا
1	كورفيت:	بـ 40 مدفعا
1	كورفيت:	بـ 36 مدفعا

1) الزمر، المصدر السابق، ص 163.

2) ج 3190، الملف الأول، ورقة 115.

3) Ferand, (Charles), «Destruction des établissements Français de la calle d'après des documents indigènes en 1827», in, R.A(N°17), 1873, PP. 421-437.

4) Kuran, op.cit, PP. 188-198.

5) Devoux, «la marine»..., op.cit, P. 420.

المؤرخ الجزائري سعيدوني بأن الشيء الإيجابي الوحيد لها ويرى بالنسبة للجزائريين هو أنه كان بمثابة صدمة نفسية أخيرة الحصار بالحكم العثماني بالإيالة الجزائرية، وأشعرت الأهالي على تعرض لها طبقاتهم بضعف حكومتهم وقصورها، وأظهرت لهم مدى التفوق مختلف طبقاتهم بضعف حكومتهم وقصورها، وأظهرت لهم مدى التفوق الفرنسي المعتمد على المهارة الحربية والتفانيات العسكرية⁽¹⁾، بعد أن ظل هؤلاء الناس مدة طويلة: "معتادين على احتقار الكفار والاستهانة بهم"⁽²⁾.

ثالثاً: التدخل العسكري الفرنسي واستسلام الحكومة:

تعودت الكتابات التاريخية الفرنسية عندما تتعرض للأسباب التي تعودت بحكومة شارل العاشر Charles X (1824-1830) إلى جرد حملة لغزو الجزائر. أن تبرز في مقدمة هذه الأسباب مسألة الديون التي للتاجرين، بكري وبوشناق على الخزينة الفرنسية، لارتباطها المباشر بتمثيلية "صربية المروحة"، التي جعلت فرنسا تنتفض للتأثر "كرامتها التي أهنت" في شخص قنصلها بالجزائر ببيير موفال. وهذه النظرة التي بتتها مدرسة التاريخ الاستعماري الفرنسية لالخلفية الأزمة الفرنسية الجزائرية، السائدة لدى تلاميذ هذه المدرسة⁽³⁾.

التي اندلعت عام 1827م، لا تزال هي السائدة لدى تلاميذ هذه المدرسة الذين كرسوها حتى في كتاباتهم المتأخرة⁽⁴⁾. أعلنت فرنسا التعبئة في الجيش وبدأت وفي يوم 7 فبراير 1830م، أعلنت فرنسا التعبئة في الجيش وبدأت الاستعدادات لتجهيز الحملة. وفي 12 مارس بعثت فرنسا، بمذكرة إلى الحكومات الأوروبية تخطر بها بالقرار الذي اتخذته وأكدت في نفس الوقت أن استعداداتها العسكرية تستهدف الجزائر لوحدها. وعلى أن الحكومة

للتألف أثناء هجوم اللورد اكسموث (1816م) وفقد بعض قطعه إثر معركة تغارين التي جرت وقائعها أيام 8 و9 و10 أكتوبر 1827م.

حيث شارك الأسطول الجزائري بغلبوطان مسلحتان بـ 28 مدفعاً، وكرقاطة مجهزة بـ 32 مدفعاً وقطعتان من نوع البريك مزودتين بـ 38 مدفعاً، قد انتهى أمرها إلى التدمير في المعركة إلى جانب الأسطول المصري والعثماني في حربها ضد القوات الأوروبية المتحالفة مع اليونان⁽¹⁾.

كما تعرضت القطع الباقية لأضرار جسيمة في أول صدام بحري لها مع الأسطول الفرنسي يوم 4 أكتوبر 1827م، وبسبب الضعف العسكري وانهار النظام الدفاعي للجزائر، أعلن حسين باشا أنه سوف يعطي لكل جزائري يستولي على مدفع من مدافع العدو مكافأة تشجيعية قدرها 1000 قرش⁽²⁾.

والحقيقة أن استغلال الوثائق تمكنا من العثور على معطيات جديدة بخصوص ضعف الأسطول الجزائري وعدم قدرته على فك الحصار، وكشف لنا وثيقة بتاريخ 15 ربيع الأول 1243هـ 1827م، أن علي ريس قائد الأسطول الجزائري قد تعرض للمطاردة من طرف السفن الفرنسية التي حاصرت في ميناء وهران⁽³⁾.

وسبب الحصار في تكاليف مالية باهضة أثقلت عاتق البحرية الفرنسية، بحيث تجاوزت في ظرف سنتين مليوني فرنك فرنسي، ولم يقم الأسطول الفرنسي أية سفينة جزائرية تزيد قيمتها عن 20 ألف فرنك، وهذا بشهادة النائب الفرنسي دوبرغ (Duborg) في 9 جوان 1829م⁽⁴⁾.

(1) للمزيد حول وقائع معركة تغارين راجع:

ناصر الدين، سعيدوني، «وقائع جزائرية»، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2000. ص 351-370.

(2) Nettement, op.cit, P.164.

(3) ص 3190، الملف الأول، ورقة 233.

(4) Ch.André, Julien, «la question d'Alger devant les chambres sous la restauration», in, R.A(N°63), 1922, P.428.

والظاهر أن هناك أسباب اقتصادية وسياسية واستراتيجية وراء ذلك. كانت وراء الغزو الفرنسي للجزائر، يمكن حصرها في العنصر التالية: اعتبر المسؤولون في باريس أن الوقت مناسب لإنجاز مشروع عظيم يحقق لفرنسا مكاسب كبيرة، منها التوسع الإقليمي في شمال إفريقيا كما يسمح لها بجني فوائد كبيرة في المجالات المختلفة ترواها مكانة سياسية ومعنوية مرموقة على الساحة الأوروبية. ولا يسأل في شير إلى التقرير الذي وجهه وزير الحرية الفرنسية كليمنصو في 1830-1824) إلى الملك شارل العاشر (C. De Tonnerre) طومبير عام 1827م، جاء فيه ما يلي: توجد مراسي عديدة على السواحل الجزائرية، التي يعتبر الاستيلاء عليها ذو فائدة كبيرة. كما تحتوي أراضيها على مناجم غنية بالحديد والرصاص، ويوفر فيها الملح والبارود بكميات هائلة، وإلى جانب ذلك، توجد الكنوز المكسمة في قصر الداي وهي تقدر بأكثر من مائة وخمسين مليون فرنك⁽¹⁾.

وبخصوص الأسباب السياسية، فالمعلوم أن فرنسا كانت تمر بآزمة سياسية خطيرة في عهد الملك شارل العاشر، لذا حاول هذا الأخير إيجاد سياسية خطيرة في عهد الملك شارل العاشر، عن الأوضاع السياسية إلى الجزائر لتحويل الأنظار الشعب الفرنسي عن الأوضاع الداخلية⁽²⁾. أما الأسباب الاستراتيجية، فتعود إلى الصراع التقليدي بين فرنسا وإنجلترا حول مناطق النفوذ في الحوض الغربي المتوسط، والظاهر أنه منذ سيطرة إنجلترا على مضيق جبل طارق وجزيرة مالطة، ازداد الاهتمام الفرنسي بالجزائر باعتبارها قاعدة بحرية إقليمية في تحقيق البحر المتوسط⁽³⁾. في حين تركزت الأسباب الدينية في تحقيق

1) Ibid. P.173

2) Azam, (Paul), op.cit., P.25.

3) Esquer, les commencements, ..., op.cit., P.30.

الفرنسية لم تلتزم الأسباب واهية مثل خادنة المروحة الفرنسية الغزو. وكشف لنا وثيقة التي هي عبارة عن تقرير أرسله أحد المخابرات إلى الداي حسين، يخبره حول المعارضة التي ظهرت في مجلس الشيوخ الفرنسي حول إقرار إعلان الحرب ضد الجزائر، وإثارة مسألة الديون التي تربت على فرنسا من جانب الجزائر والمقدرة بسبعة ملايين فرنك⁽¹⁾.

وقد قد "مارسيل أمريت" أسباب الغزو الفرنسي للجزائر حيث يقول: لم يكن هدف فرنسا من الحملة القضاء على الفرصة لأن الفرصة توفقت منذ عام 1818م، والدليل على ذلك، أننا لم نجد في سجل العتائم البحرية الجزائرية سوى 12 سفينة إسبانية، وسفيتين بلونين، وأن هاتين الدولتين كانتا في حرب مع الجزائر. كما أن قضية تحرير الأسرى المسيحيين، لم تكن سببا لن حرب حملة عسكرية ضد الجزائر، لأنه لم يكن يوجد في سجون

الجزائر سوى مائة سجين، كانوا يعتبرون أسرى حرب⁽²⁾. وفي نفس السياق أضاف "أمريت" أنه: "بعد حصار طويل، لم تجد فرنسا حادنا جديدا تتر به حملتها العسكرية، لذا اتخذت من قضية قصف سفينها لايروفايس⁽³⁾، من قبل الجزائر، سببا لتنفيذ مشروعها إلا أن هذا السبب لا يكفي أن يكون مبررا، لأن القصف كان مجرد خطأ ارتكبه الجنود الجزائريين، وأن الداي قام بعزل المسؤولين عن هذه الحادثة"⁽⁴⁾.

382.

1) مع 3190. ملف الأول. ورقة 382.

2) Emerit, «une cause de l'expédition d'Alger; le trésor de la casbah», in: Actes du 89, congrès des sociétés savantes d'Alger, 1954, P.172.

3) في 30 جويلية 1829م، قدم وفد فرنسي برئاسة دولابوتونير (la Brotonnière) على ظهر سفينة (la provence) للتفاوض مع حكومة الداي، وحل الشكوة المعلقة بين البلدين غير أن هذه المفاوضات باءت بالفشل. وعندما غادرت السفينة الشية اقترحت من بطاريات ووفاعات العاصمة، فانظر الطورجية إلى إطلاع النار عليها، للجزيرة راجع: حمدان، خوجة، الصدر السابق، ص 83-84.

4) E une cause», P.172.

حفر المتاريس (الخنادق) وإخباره بقدوم بعض فرسان مختبئين في أجل المقاومة، ولكنهم رفضوا الانضمام إلى جيش الأغا⁽¹⁾.

القبائل من أجل المقاومة، ولكنهم رفضوا الانضمام إلى جيش الأغا⁽¹⁾. وحسب رواية براهيم فإن هزيمة الجيش الجزائري في معركة أسطاو التي تعود إلى هروب القبائل وانسحابها من ميدان القتال، مما أتاح للفرصة للقوات الفرنسية بطلق الهتافات: هيا... يحيا الملك فاستولوا على النخيرة والخيام ما بين ستمائة وثمانمائة خيمة، إلى جانب المدفعية الجزائرية⁽²⁾.

وبالرغم من ذلك فإن حسين باشا كان يصر على الإبقاء على الأتاعا وزيمنته في أسطاو التي. ويحمل حمدان خوجة الداي حسين مسؤولية حتى هزيمته في أسطاو التي. قائد للجيش ليحارب فرنسا: بدون جيش منظم تعيينه للأغا إبراهيم⁽³⁾ وبدون مؤونة وبدون شعير للخيول وبدون المقدرة الضرورية على مواجهة الحرب⁽⁴⁾.

عند الهزيمة في أسطاو التي (19 جوان 1830م) هرب إبراهيم آغا من الميدان وترك خلفه الجيش والخيام، والفرقة الموسيقية والأعلام⁽⁴⁾، وأمام هذه الأوضاع المزرية، عزله حسين باشا ودعا المفتي (شيخ الإسلام) "ابن العنابي"⁽⁵⁾ وأعطاه سيفاً وأمره بجمع الشعب وإقناع الناس بالجهاد دفاعاً عن البلاد. كان المفتي رجلاً خاضعاً ولكنه لا يصلح للقيادة⁽⁶⁾.

(1) 3190، الملف الأول، ورقة 357.

(2) سيجون، براهيم، المذكر السابق، ص 80.

(3) حمدان، خوجة، المذكر السابق، ص 196.

(4) نفسه.

(5) ألف ابن العنابي كتاباً بغرض إصلاح جيش الإيالة، وقد دعى إلى اقتباس النمط العسكري الأورثوغي.

(6) أنظر: محمد بن محمود، بن العنابي، السعي المحمود في نظام الجنود، (تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم)، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983م.

والنخيرة... إن منطقة سيدي فرج كانت خالية من المدافع والخنادق، وكان هناك فقط اثنا عشر مدفعاً نصبت في بدء إعلان الحرب⁽¹⁾، وإن ما توفر من معلومات بخصوص عمليات الإنزال نجدها عند حمدان خوجة الذي أضاف: "وفي اليوم الذي نزل فيه المارشال دي بورمون مع جيشه لم يكن تحت تصرف الأغا سوى 300 فارس ولم يكن مع باي قسنطينة إلا عدد قليل من الجنود"⁽²⁾.

وفي أول مواجهة مع الجيش الفرنسي أثبتت القوات الجزائرية عجزها وضعفها في مواجهة المحتل. فقد تمكن الفرنسيون من نزول بسيدي فرج دون مقاومة تذكر، وتمكنوا بعد ذلك من تحطيم كل الدفاعات التي لم تكن سوى 12 مدفعاً كما ذكرنا سابقاً، أما الجزائريون فانسحبوا إلى هضبة أوسطى والي (اسطاو التي) في انتظار الدعم من مختلف جهات الإيالة.

رغم الاستعدادات الظاهرية، فإن الداي بدل أن يستعمل القوات في الهجوم ضد الفرنسيين في سيدي فرج أبقاها بعيدة عن العاصمة بعدة كيلو مترات، وكان الداي ينظر بقية إلى جنوده وتحصيناته، وكان يعتقد أن القصبة لا تهزم وأنها تستطيع أن تقاوم عدة سنوات، ولم يدعم معسكرات سوى ببعض مئات من الجنود⁽³⁾.

وبفينا نص وثيقة بمعلومات عن محاولة إبراهيم آغا القيام بالتحصينات العسكرية في منطقة سيدي فرج بتاريخ 26 ذي الحجة 1245هـ/1830م: "رسالة من إبراهيم آغا العرب الموجود بسيدي فرج إلى حسين باشا يتقرب نزول الفرنسيين، ويطلب إرسال المؤن للجيش مثل العنب والسمن والزيت والبشمط والشعير، كما يطلب إرسال

(1) عبد الجليل، التقيي، المرجع السابق، ص 44 - 45.

(2) حمدان، خوجة، المذكر السابق، ص

(3) أبو القاسم، سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ط3، الجزائر: 1982، ص 39.

وفي نفس الوقت كان الجيش الفرنسي يقترب من قطعة مولاى حسن (قلعة الأمير طور) زاد ذلك فقدان الأمل بنجاح الحملة، أما قيادة الجيش فتولاها باي التطيري حاج علي مصطفى بومرزاق (1809-1830). ورغم أن القائد الجديد كان يمتاز بالشجاعة والتجربة فإنه اكتفى بجمع الغنائم واختيار البنادق الطويلة لإطلاق الرصاص على الفرنسيين (1). ومن سوء حظ الداى حسين أنه أوكل مهمة الدفاع عن حصن مولاى حسن، "للخزناجي مصطفى"، الذي كان حسب "حمدان خوجة" يتأمر على الداى ويسعى للاستيلاء على الحكم ثم يعقد صلحا مع فرنسا وفق شروطهم وعندما تحرك الجيش الفرنسي نحو حصن مولاى حسن، اضطرت الخزناجي إلى نسف مخزن البارود الصغير الذي كان في القلعة فأحدث ذلك ضجة اهتزت له المدينة (2).

ونستشف هدف هذه الرواية من خلال الزهوار الذي تحدث عن عنف المعركة التي أدت إلى مقتل الكثير من الفريقين، ومن بين الناجين الخزناجي الذي أمر بشعال النار في مخزن البارود في الحصن مما نتج عنه انفجار كبير، سبب هلعاً بين السكان (3).

وبعد استيلاء القوات الفرنسية على قلعة مولاى حسن جمع حسين باشا أمناء الطوائف وأعيان المدينة وأعضاء الحكومة للأخذ برأيهم بين مواصلة المقاومة أو الاستسلام. وقد وضع أمامهم السؤال التالي: هل تعتقدون أنه من الصواب مواصلة المقاومة ضد الفرنسيين أو يجب تسليم المدينة إليهم والتوقيع معهم على معاهدة استسلام؟ (4) وشيئاً فشيئاً بدأت روح الهزيمة تذب في أوصال الجهاز الإداري والجهاز الاجتماعي، وهذا

(1) المصدر نفسه، ص 198.

(2) المصدر نفسه، ص 199.

(3) الزهوار، المصدر السابق، ص 174.

(4) حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص 200.

بالدرجة الأولى إلى البيان الذي وزعه الفرنسيون وكان له أثر على راجع الجزائريين وقد تحدثنا عن ذلك فيما سبق وفي 4 جويلية 1830م أرسل الداى حسين وفدا يتكون من كاتبه مصطفى مصحوبا بالقمصان الإنجليزية، إلى جانب أحمد بوضربة وحسن بن حمدان بن عثمان، فوجّه كمترجمين إلى مقر القيادة الفرنسية للتفاوض مع دي بورمون، والاتفاق معه على شروط الاستسلام. والظاهر أن مصطفى كان يهدف إلى التفاوض باسم الخزناجي لأنه كان عضوا في المؤامرة ضد الداى (1) غير أن دي بورمون حسب الرواية الفرنسية رفض المؤامرة وقلب باقتراح حسين داى ينص على الاستسلام حيث تم التوقيع عليه بتاريخ 5 جويلية 1830م (2).

ومما جاء في بنود معاهدة الاستسلام (3) التي وقعها الداى حسين مع القائد الفرنسي دي بورمون: "أن تسلم جميع حصون المدينة والمياه للقوات الفرنسية قبل الساعة العاشرة، في 5 جويلية 1830م، وفي نفس الوقت يضمن قائد الحملة للقوات الاكتشافية نفس الحقوق والحماية التي يضمنها للداى وحاشيته" (4).

وفي 10 جويلية غادر الداى حسين مدينة الجزائر على متن سفينة فرنسية تدعى (جان دارك Jeanne Darc)، برفقة حاشيته المتكونة من 58 رجلا وامرأة (5)، في حين بدأ قائد الحملة في ترحيل ألفين وخمسمائة

(1) المصدر نفسه، ص 202-203.

(2) أبو القاسم، سعد الله، محاضرات...، الرجوع السابق، ص 46.

(3) أنظر تفاصيل المعاهدة في:

(4) المصدر السابق، ص 203-204.

(5) حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص 1830-1834، in, manuscrit de la bibliothèque nationale d'Alger, sous le numéro 3306, P.1.

القيادة العامة للجيش إلى صهره الآغا إبراهيم الذي قيل عنه وأوكل الادي
 الحق أنه لم يكن قائدا ممتازا في يوم من الأيام، ولم يكن يعرف الشيء

الكثير عن التكتيك العسكري⁽¹⁾،
 ولم يفعل الآغا إبراهيم عندما وصل الجيش الفرنسي إلى سواحل
 سيدي فرج، رغم أنه كان يعلم بالمكان الذي تدخل منه الحملة إلى
 الجزائر، كما أنه اطلع على أخبار الحملة فيما يخص مكونات الجيش
 الفرنسي⁽²⁾. وما فعله هو جمع سكان "متيجة" لمواجهة القوات الفرنسية
 وهو لاء بدورهم لم يكونوا يعرفون شيئا من أمور الحرب سواء بيع
 الحليب، أما الفرسان العرب الذين يتمتعون بخبرة حربية والذين جاؤوا
 إلى مدينة الجزائر لمساعدته، فكانوا يقيمون في أطراف المدينة⁽³⁾.
 كما رفض الآغا إبراهيم الأخذ بنصيحة الحاج أحمد باي قسنطينة
 الذي قال بأنه ليس من السياسة في شيء أن تجمع قواتنا في نقطة واحدة،
 وإن من الواجب توزيعها بحيث يحمل جزء منها غرب سيدي فرج حتى
 تمنع العدو من تحقيق هدفه وهو الوصول إلى العاصمة، ولكن الآغا
 إبراهيم تشبث بخطته وأجاب الباي بقوله: "إنكم لا تعرفون التكتيك"⁽⁴⁾.
 الأوروبي، إنه يتعارض كل المعارضة مع التكتيك العربي⁽⁵⁾.
 وقد أثبتت الأحداث بعد ذلك أنه (الآغا) كان جاهلا بالتكتيكين معا،
 حيث جمع القوات والعناد في منطقة الحراش الواقعة شرقي العاصمة،
 والتي تبعد عن منطقة سيدي فرج بحوالي أربعين كيلومترا⁽⁵⁾.

انكساريا من الجزائر على متن سفن بيلاستير إسبانية كمنحة للسفر⁽¹⁾ أما
 الانكسارية المتزوجين فقد سمح لهم بالبقاء مع أسرهم، غير أنه سرعان
 ما شملهم قرار الترحيل بحجة رفضهم البقاء في الجزائر خوفا من انتقام
 الحضر واليهود بمدينة الجزائر⁽²⁾.

والواقع أن السبب الحقيقي الذي كان وراء طرد الانكسارية هو
 التخوف الفرنسي من إثارة هوءلاء للثورة والاضطرابات مستقبلا، فقد جاء
 في تقرير عمر أفندي محتسب أن مير بتاريخ 1246هـ/1830م، بخصوص
 رسائل وجهت إليه بشأن الانكسارية العزاب الذين أخرجوا من الجزائر
 بعد سقوطها، وقد تم ترحيل 2500 على متن أربع سفن فرنسية إلى المدن
 التالية: سالونيك، أولة، فوجة، فقد عبر المحتسب "بأن هوءلاء من الأردال
 والغرضيين الذين لا يسمح لهم بالتوجه نحو مدينة أزمير"⁽³⁾، إنن هكذا
 كان مصير الجيش الانكساري وهو يغادر الجزائر للمرة الأخيرة، فقد تم
 القضاء على السلطة العثمانية السياسية (الادي) والعسكرية (الانكسارية).
 ومن العوامل التي ساهمت في هزيمة القوات الجزائرية، نقص
 التحضير النفسي للمحاربين، واستخدام الفرنسيين أسلحة أكثر تقدما
 وخطا حربية مدروسة منذ أيام نابليون⁽⁴⁾. والخطأ الاستراتيجي الذي
 وقع فيه الادي حسين هو عزل وقتل الآغا يحي بعد اتهامه بالآمر ضده
 وكان يتولى القيادة العامة للجيش منذ اثني عشرة سنة مما أكسبه خبرة
 واسعة وتجربة في كل ما يتعلق بفنون الحرب والتخطيط العسكري، كما
 كان يحظى بالطاعة والاحترام لدى الجنود، ويتمتع بشعبية واسعة⁽⁵⁾.

1) le Marchand, op.cit, PP.287-288.

2) Nettement, op.cit, P.467.

(3) خط هاليون، عدد: 22530، تاريخ 1246هـ.

(4) جون (ب) وولف، المرجع السابق، ص 453.

(5) الزعاجي، المصدر السابق، ص 136.

1) حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص 188.

2) المصدر نفسه، ص 189.

3) المصدر نفسه، ص 190.

4) المصدر نفسه، ص 192.

وكان يستلم الداي حصون من السيطرة على الأوضاع الداخلية حيث
كان يوجه المؤامرة الممثلة من طرف أخصار الأغا يحيى، وقد تزعج
الداي لمصطفى طوجة الذي أراد قتل الداي حسين وفتح باب
المفاوضات مع الفرنسيين، فإذا لم تقبل فرنسا شروطهم يستعصم
بجيش القنصل، وعلى المؤامرة اكتشاف وأمر الداي حسين بقتل سبعة
من أخصار الأغا، وقد حدث ذلك قبل دخول الفرنسيين إلى الجزائر
بشهرين فقط، ولا يستبعد أن تكون هذه المؤامرة من تنبير الجواسيس
الفرنسيين المصطف للجهة الداخلية في الجزائر وإثارة الفوضى والفتنة
داخل العاصمة.

وكانت المأساة تحاك ضد الداي حسين حتى أثناء المعركة من قبل
الترابلي والمكناجي، فالأول أمر الجنود بإشعال النار في مخزن
البرود التي أتت إلى انفجار قلعة السلطان وهذا مقابل مائة سلطاني ذهب
لمن يقوم بذلك، فكانت النتيجة تهديم المنازل وإثارة الخوف والرعب في
عقول السكان⁽¹⁾. بينما الثاني فقد فلول القائد الفرنسي باسم الخزناجي،
واقترح على قائد الحملة دي بورمون أنه يحمل إليه مقابل ذلك رأس
حسين داي ثم يبرم مع فرنسا معاهدة تكون حسب رغبته⁽²⁾.

لقد تمخضت عن الحملة الفرنسية على الجزائر نتائج عديدة، نجعلنا
نحزم بالضعف السياسي والعسكري الذي شهده الإيالة في أواخر العهد
العثماني، لأن مظاهر الإصلاحات كانت متأخرة، ولم تحقق أهدافها. كما
ولدت الحملة في الجزائر شعورا قويا بالمقاومة بمجرد إدراك أن نوايا

(1) حول هذه الحادثة راجع:

- الزهار، المصدر السابق، ص 169.

- سيمون، المصدر السابق، ص 126.

(2) الزهار، المصدر السابق، ص 174.

(3) حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص 203.

وإنما هو استعمار الجزائر، وتوسعت الأنشطة والحول المتنامي
للمرسين. وفي هذا السياق سجل تب لطلال الجزائر
لنوي الشريف غداة الاحتلال الفرنسي للجزائر⁽¹⁾
بوصية يا بوصية هذا بطني داري.

بالحق فرئيس معلق في الصاري.

بمولات الدار اعطينا مسار.

بعطيك الجنة ومزيد حنة.

وأولئك طاحوا في الجنة

وحنا سبود. واليهود في السبود.

1) Feraud, (ch), «Destruction des établissements Français de la calle d'après des documents indigènes en 1827» R.A(N°17), 1873, PP.435-436.

الخلاصة

كانت المؤسسة العسكرية تقوم على العصر التركي أو المترك من الإصلاح وغيرهم، وكانت تعضد في تحجيد نفسها على استقدام عناصر جديدة للعصر في الحامية، وهذا أحد الأسباب في بقاء ارتباط الجزائر أنبيا مع مركز السلطة بالسلطان، ولعل هذا ما جعل الباب العالي لا يمانع قط في السماح للمنطوقين الأتراك من أزمير وجهات الأناضول بالاتحاق بالجزائر، الأمر الذي بقي المؤسسة العسكرية بالجزائر متلاحمة وملزمة بواجبها العسكرية، ولم تتعرض للصف إلا عندما سمح لبعض العناصر المكونة للوجع ولم تعد تخضع إلى الاختيار الصارم والمراقبة المستمرة والتي عبر حمدان خوجة عن هذا الرأي بصراحة: "أنهم فتحوا أبواب المييشيا (الحامية) لأي كان حتى لأتاس كانوا قد أنبوا أو أنبوا ... فصارت ترتكب المخالفات ضد البو والقبائل، ثم قام هؤلاء (الجند) بإسعال الثورات وقلب قادة الدولة بحسب هواهم" (1).

إن روح العصر كانت تقضي ظهور حكم عسكري مركزي قوي بالجزائر مستقل عن الباب العالي ومنفتح على الواقع الجزائري وكان ذلك يتطلب الانفتاح على الجماعات القريبة من الأقلية التركية والقدرة على التعامل معها ومشاركتها الحكم مثل الكراغلة. وقد بدأت ملامح هذا التحول على عهد الداي محمد عثمان باشا، ومع تولي إدارة البابليكات رجال قادرون على الارتباط بالسكان واكتساب نفقتهم، ولم يكن ذلك مستبعدا مع ظهور حكام أكفاء مثل صالح باي ومحمد الذباح ومحمد الكبير.

وقد استمرت ملامح هذا التحول أيضا مع حركة الداي علي خوجة (1817م) التي كانت تهدف إلى إعادة تشكيل المؤسسة العسكرية. فقد باذر هذا الداي إلى جماعة للكراغلة، واستخدم فرق من زلوة، إلا أن إصابة هذا الداي بالطاعون لم يسمح له باستمرار في السلطة أكثر من سنة أشهر. فتولى الحكم بعده خليفته

(1) حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص 149.

داي حسين باشا الذي أثر نصرا الصغوط الخارجية والاضطرابات الداخلية ليجنب أحداث أي تغيير قد يؤدي إلى انهيار النظام العربي القائم. ولعله كان متأثرا بالرأي المعارض الذي عبر عنه حمدان خوجة في كتابه المرأة بقوله: "إن هذا الداي (علي خوجة) الذي حكم سنة أشهر لو أنه على التسبب في خراب الأيالة وما في ذلك شك" (1).

وبالرغم من أن إيالة الجزائر كانت معروفة في عالم البحر الأبيض المتوسط بقيامها على نظام حزبي فعال بواسطة حكومة عسكرية، فإن القوة الجزائرية إنما كانت تعتمد على المؤسسات المالية.

وكان تقديم التسهيلات للتجار اليهود وبخول الطبقة الحاكمة بهم في البليات والدايات في مصالح تجارية معهم، بل أكثر من ذلك استعانتهم كوكلاء تجاريين لهم، وناطقين رسميين باسم الحكومة الجزائرية، ومنهم الامتيازات الخاصة عن طريق احتكار بعض المنتجات الاستراتيجية والسل على تصديرها عبر موانئ أوروبا. والسؤال الذي يطرح نفسه بالبحاح، هو لماذا سمحت الحكومة الجزائرية بكل التجارة الدولية لتكون في أيدي التجار اليهود؟ إن جزء من الجواب على ذلك يمكن تلخيصه في دور اليهود المتعاطفين في حكومة الدايات، بقر ما لعب فيه أصحاب المال اليهود دورا كبيرا.

إن سياسة التهميش التي اعتمدها الأتراك في الجزائر كان لها انعكاسات خطيرة، نشأ عنها تهميش الأتراك العثمانيين أنفسهم الذين أصبحوا بحكم سياستهم مهمشين بالنسبة للمجتمع الذي نفروهم وثار عليهم في مرات عديدة، ولم يهرع لنجبتهم خلال محنة 1830م التي انتهت باحتلال الجزائر وبعلائهم عنها. هكذا سيطرت أوروبا على التجارة وفرضت شروطها على العالم الأخرى بفضل تفوقها التقني

(1) نفسه، ص 153.

أولاً: باللغة العربية

1- الوثائق

خط همايون

خط همايون، عدد: 17216، تاريخ، 1239 هـ.

خط همايون، عدد: 22530، تاريخ، 1246 هـ.

خط همايون، عدد: 4887، تاريخ، 1230 هـ.

خط همايون، عدد: 22486، تاريخ، 1231 هـ.

خط همايون، عدد: 48979، تاريخ، 1231 هـ.

مجموعة وثائق تاريخ الجزائر العثماني بالمكتبة الوطنية الجزائرية:

مج 3190، الملف الأول، ورقة 257.

مج 3190، الملف الأول، ورقة 25.

مج 3190، الملف الأول، ورقة 196.

مج 3190، الملف الأول، ورقة 357.

مج 3190، الملف الأول، ورقة 320.

مج 3190، الملف الأول، ورقة 190.

مج 1903، الملف الأول، ورقة 4.

مج 1903، الملف الأول، ورقة 41.

مج 3190، الملف الأول، ورقة 382.

مج 3190، الملف الأول، ورقة 267.

مج 3190، الملف الأول، ورقة 223.

مج 3190، الملف الأول، ورقة 117.

مج 3190، الملف الأول، ورقة 344.

والعسكري. فركزت على منطق المهادنة والمعاهدة المعتمد على القانون الذي يبقى قانوناً أوروبياً في أساسه، واستخدمت الدول الأوروبية القانون البحري الدولي للضغط على حكام الجزائر الذين كانوا يستعملون القرصنة لمواجهة الأساطيل الأوروبية. ولم تنجح محاولات التحديث في الجزائر العثمانية ربما لأنها كانت محاولات فردية وغير متجددة في المجتمع بحكم انغلاق الأقلية التركية على نفسها.

أما على المستوى الدولي فكانت سياسة حكام الجزائر مع الدول الأوروبية طيلة القرنين السادس عشر والسابع عشر تقوم على مبدأ التصدي والمواجهة لسياسة الهيمنة التي مارستها بعض الدول الأوروبية مثل إسبانيا وفرنسا وإنجلترا، ثم تراجعت مع القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر بسبب التفوق الأوروبي الحربي والاقتصادي.

ومع نهاية حروب نابليون (1814م)، وإقرار سياسة الوفاق الأوربي في مؤتمر فيينا (1815م) وهجوم اللورد اكسموث (1816م). بدأ تطبيق المخطط الأوروبي الذي يهدف إلى إلغاء دور الجزائر الدولي القائم على ممارسة الجهاد البحري لقد انتهت الأوضاع بالجزائر مع نهاية القرن الثامن عشر إلى أزمة متعددة الجوانب هزت المؤسسة العسكرية ونسفت نظامها الدفاعي.

2- المصادر المطبوعة

- ابن الغفالي، محمد محمود، «السعي المحمود في نظام الجنود» (تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم)، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983م.
- برايفر، سيمون، «مذكرات جزائرية عشية الاحتلال» (ترجمة وتقديم وتعليق: د. أبو العيد دودو)، الجزائر: دار هومة، 1998م.
- خوجة، حمدان بن عثمان، المرأة، (تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري)، ط2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982م.
- الزمار، الحاج أحمد الشريف (تحقيق: أحمد توفيق المدني)، ط2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980م.
- كاككارت، مذكرات أسير الداي كاككارت فتصل أمريكا في المغرب، (ترجمة وتعليق: إسماعيل العربي)، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1982م.
- العنزي، محمد الصالح، فريدة منسية في حال دخول الترك بلاد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، (تقديم وتعليق: يحي بوعزيز)، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1991م.
- الناصري، أبو العباس أحمد، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، (تحقيق وتعليق: جعفر ومحمد الناصري)، الدار البيضاء: دار الكتب، 1954-1956م.
- شار، مذكرات وليام، فتصا أمريكا في الجزائر (ترجمة: إسماعيل العربي)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982م.

3- المراجع:

- جوليان، شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، (تعريب: محمد مزالي والبشير بن سلامة)، الدار التونسية للنشر، 1983م.
- وولف، جون (ب)، الجزائر وأوروبا 1500-1830م، (ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله)، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م.

- المدني، أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792م)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1976م.
- سعد الله، أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م، الجزء الثاني.
- سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998، 9 أجزاء.
- سعد الله، أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط3، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1982م.
- سعيدوني، ناصر الدين، ورفات جزائرية، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2000م.
- شريط، عبد الله، مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985م.
- شبلي، إبراهيم أحمد، مبادئ القانون الدولي، الرياض: دار المجمع العلمي، 1990م.
- قنان، جمال، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830م، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1987م.
- قنان، جمال، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790-1830م، الجزائر: منشورات متحف المجاهد 1999م.

4- الدوريات

- بونو، سلفاتور، «العلاقات بين الجزائر وإيطاليا خلال العهد التركي» (ترجمة: أبو القاسم بن التومي)، مجلة الأصالة، العدد 6-7، الجزائر، 1972م، ص 68-103 / 113-118.

- Copie du registre manuscrit des arrêts du gouvernement général de l'Algérie de 1830 à 1834, in, manuscrit de la Bibliothèque nationale d'Alger, sous le numéro 3306
- De Gramaye (Jean, Baptiste), les cruautés exercées sur les chrétiens en la ville d'Alger en barbarie, Paris, 1620.
- De Tassy (Laugier), Histoire du royaume d'Alger, Paris, éd Loysel, 1992
- De Testa (le Baron), Recueil des traités de la porte Ottomane, Paris, 1864.
- Dubois - Thainville, Mémoire sur Alger 1809, Pub.par G.Esquer, Paris, Champion, 1927
- Douin (G), Mohamed Ali et l'expédition d'Alger, 1829-1830, le Caire, 1930.
- Esquer (Gabriel), Les commencements d'un empire, la prise d'Alger, 1830. Paris, Larose, 1929.
- Fau, «Organisation judiciaire Algérie», in notice, scientifique, historique et économique sur Alger et l'Algérie, Alger, A.Jourdan, 1881.
- Filest (J), Un secoto dirapporti (1734-1835), Trad, Nappoll.E.Tripoli, Napolli, 1983.
- Garrot (Henri), Histoire générale de l'Algérie, Alger, 1910.
- Gautherot (Gustave), La conquête d'Alger 1830, Bibliothèque Payot, Paris, 1929.
- Grammont (H.D.de), Histoire d'Alger sous la domination Turque, 1515-1830, Paris, E.Leroux, 1887.
- Haddy (M.J.M), Le livre d'or des Israélites Algériens, Alger, 1871.
- Hannone (Jean), Aperçu sur les Israélites Algériens et sur la communauté d'Alger, J.Carbonel, Alger, 1922.
- Kercy, Mémoire sur Alger en 1791, Pub par G.Esquer, Librairie ancienne honore, champion, Paris, 1927.
- Julien (Charles André), Histoire de l'Algérie contemporaine, 1830-1871, Paris, 1964.

- بلحميسي، مولاي، "الثورة على الأتراك في الجزائر، شواهد مستقاة من وثائق إسبانية لم تنشر"، مجلة الثقافة، العدد 76، الجزائر، نوفمبر-ديسمبر 1978 م، ص 44-52.
- زوزو، عبد الحميد، "هنة 1810م ومعاهدة 1813م بين الجزائر والبرتغال"، مجلة التاريخ، العدد 11، جامعة الجزائر، 1981م، ص 19-27.
- الزيري، محمد العربي، "مقاومة الجزائر للكتل الأوروبية قبل الاحتلال"، مجلة الأصالة، العدد 12، الجزائر 1973م، ص 112-124.

ثانية باللغة الأجنبية

1- الكتب

- Azan, (Paul), l'expédition d'Alger en 1830, Paris, 1931
- Bloch(Isaaq), inscriptions tumulaires des anciens cimetières Israélites d'Alger, Paris, A.Durlacher, 1888.
- Boutin (Colonel), Reconnaissance des villes, forts et batteries d'Alger. Pub. par G.Esquer, Paris, Champion, 1927
- Boyer (Pierre), la vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention Française, Paris, Hachette, 1963.
- Braudel, (Fernand), Civilisation matérielle, économie et capitalisme XV^e et XVIII^e siècle, les jeux de l'échange, Armand colin, Paris, 1979.
- Cat (E), Petite histoire de l'Algérie, Tunisie, Maroc, Adolphe Jourdan, Alger, 1889.
- Charles-Roux (F), La France et l'Afrique du Nord avant 1830, les précurseurs de la conquête, Paris, F.Alcan, 1832.
- Chouraqui (André), Marche vers l'occident, les Juifs d'Afrique du Nord, P.V.E, Paris, 1952.
- Colombe (Marcel), l'Algérie Turque, in initiation à l'Algérie, Maison neuve, Paris, 1957.

- Vallière (J.A), L'Algérie en 1781, Mémoire du consul J.Vallière, Pub. Par Lucien Chaillo, Toulon, Valbert, Rand.S.D.

- Venture de paradis, Tunis et Alger au XVIII^e siècle, présenté par Joseph.Cuoq, Paris, Sindbad, 1983.

- 2 الدوريات

- Amine (Mohamed), «Les commerçants à Alger à la veille de 1830», in R.H.M, N° 77-78, zaghouan, Mai, 1995, PP.18-112.

- Berbrugger et Brisinier, «Première proclamation Française aux Algériens», in R.A (N°6), 1862, PP.147-156.

- Berbrugger (Adrien), «l'affaire Bakri d'après un document inédit», in R.A (N°13), 1869, PP.60-63

- Chabaud (Arnaud), «Attaque des batteries Algériennes par lord exmouth», in R.A (N°19), 1875, PP.194-202.

- Colombe (Marcel), «Contribution à l'étude du recrutement de l'Odjaq d'Alger dans les dernières années de l'histoire de la régence», in, R.A (N°87), 1943, PP.165-183.

- Cour (A), «Constantine en 1802, d'après une chanson populaire du Cheikh Belkacem-er-Rahmouni el Haddadi», R.A (N°60), 1919, PP.223-240.

- Devoulx (A), «Un exploit des Algériens», in, R.A, (N°9), 1865, PP.126-130.

- Devoulx (A), «Coopération de la régence d'Alger à la guerre de l'indépendance Grecque», in, R.A, (N°1), 1856-1857, PP.129-136 / 207-211 / 299-302 / 464-473.

- Devoulx (A), «Les registres de prises maritimes», in, R.A, (N°16), 1872, PP.70-80 / 146-166 / 133-240 / 292-303.

- Le marchand (E), L'Europe et la conquête d'Alger d'après des documents originaux tirés des archives de l'état, Paris, Perrin et Cie, 1913.

- Masson, (Paul), Histoire des établissements et du commerce Français dans l'Afrique barbaresque, 1560-1793, Paris, Hachette, 1903.

- Mercier (E), Histoire de Constantine, J.Merle, 1903.

- Montagnon (P), La conquête de l'Algérie, 1830-1871, Paris, 1996.

- Nettement (Alfred), Histoire de la conquête d'Alger écrite sur les documents inédits et authentiques, Paris, Jacques le coffre, 1856.

- Perrot (A.M), Alger, Esquisse Topographique du royaume et de la ville, Paris, Ladvocat, 1830.

- Peyssonel et Desfontaines, Voyages dans les régences de Tunis et d'Alger, Pub. par. M.Delureaud de la malle, Paris, Gide, 1838, 2 vol.

- Plantet (Eugène), Les consuls de France à Alger avant la conquête, 1579-1830, Paris, Hachette, 1930.

- Raynal, (Abbe.G.T), Histoire philosophique et politique des établissements et du commerce des établissements et Européens dans l'Afrique Septentrionale, Paris, P.Maunus et Cie, 1826.

- Rozet et Carette, Algérie, 2^eéd, Bouslama, Tunis, 1980

- Rozet (C.A), Voyage dans la régence d'Alger ou description du pays occupé par l'armée Française en Afrique, Paris, Arthus Bertrand, 1830, 3 vol.

- Saïdouni (Nacerddine), L'Algérois Rural à la fin de l'époque Ottomane (1791-1830), Beyrouth, Dar Al-Garb-Al-Islami, 2001.

- Shaw (Dr), Voyage dans la régence d'Alger ou description géographique, physique, philologique, etc., et de cet état, Trad. de l'Anglais avec des nombreuses augmentations par J.Mac Carthy, Paris, Malin, 1830, 2 vol.

- Tachrifat, Recueil de notices historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger, Pub. Par A.Devoulx, Alger, imp. Du gouvernement, 1852.

R.A (N°22), 1878, PP.305-320 / 401-433 et (N°23), 1879, PP.40-470 et (N°24), 1880, PP.22-36 / 147-160 / 193-214.

- Rinn (Louis), «Le royaume d'Alger sous le dernier Dey», in R.A (N°41), 1897, PP.112-152 / 334-350, (N°42), 1898, PP.5-21 / 113-133 / 289-308, (N°43), 1899, PP.105-141 / 277-320.

- Sir Harry Neal et Berbrugger (A), «Guerre de 1824 entre Alger et l'Angleterre», in R.A (N°8), 1864, PP.202-205.

- Wildsheimer (F), «Grandeur et décadence de la maison Bakri de Marseille», in, Revue des études Juives, 1977, PP.390-420.

ثالثة: الأطروحات الجامعية

1- باللغة العربية:

- أبو عجلة، محمد الهادي، النشاط الليبي في البحر المتوسط (1711-1835م)، وأثره على علاقاتها بالول الأجنبي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، 1984م.

- دادة، محمد، اليهود في الجزائر في العهد العثماني (منذ مطلع القرن 18 حتى 1830م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، 1985م.

- هلايلي، حنفي، التنظيم الحربي للجزائر في العهد العثماني منذ مطلع القرن السابع عشر حتى سنة 1830، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، جامعة سيدي بلعباس 2004.

2- باللغة الفرنسية

- Belhamissi (Moulay), Marine et marins d'Alger à l'époque Ottomane (1518-1830), Thèse de Doctorat d'état, université de Bordeaux III, Mars, 1986, 4 vol.

- Efendi (Hadj Ahmed), «La prise d'Alger raconté par un Algérien», Trad. Ottocon de Shlechta, in, journal asiatique, (N°29), 1862, PP.320-331.

- Emerit (Marcel), «l'essai d'une marine marchande barbaresque au 18^{ème} siècle», in Cahier de Tunisie. N°11, 1955, PP.363-380.

- Emerit (Marcel), «La situation économique de la régence d'Alger en 1830», in R.A, (N°2), Mars-Avril 1952, PP.169-172.

- Feraud (Charles), «Ephémérides d'un secrétaire officiel sous la domination Turque à Alger de 1775 à 1805», in R.A, (N°18), 1874, PP.295-319.

- Gallissot (Robert), «Le Maghreb précolonial, mode de production archaïque ou mode de production féodal», in, la pensée, N°142, 1968, PP.57-93.

- Haedo (Fry Diego de), «Topographie et histoire générale d'Alger», Traduction (Monnereau et A.Berbrugger), in R.A (N°14), 1871, PP.41-498.

- Julien (Charles André), «La question d'Alger devant les chambres sous la restauration», in R.A, (N°63), 1922, PP.425-437.

- Kologlu (Orhan), «Tendance de régionalisme en Egypte waqai Misriyya vis à vis de l'occupation de l'Algérie par la France (1830)», in R.H.M, N°65, Zaghuan, I.F.T.R.S, Mai, 1994, PP.65-77.

- Kuran (Erkument), «La lettre du dernier Dey au grand Vizir de l'empire Ottoman», in R.A, (N°96), 1952, PP.188-195.

- Michel (Alfred), «La prise d'Alger racontée par un captif», in R.A (N°19), 1875, PP.471-482.

- Pavy (M.G), «La piraterie barbaresque», in R.A, (N°2), 1857, PP.337-352.

- Playfair (R.L), «Episodes de l'histoire des relations de la grande Bretagne avec les états barbaresques avant la conquête Française», in

فهرس الموضوعات

05.....	مختصرات البحث
06.....	مقدمة

الفصل الأول

10.....	لوفق الأوروبي ونعكساته على أيلة الجزائر (1815-1830م):
11.....	أولا: مؤتمر فينا (Vienne) 1815م:
15.....	ثانيا: مؤتمر اكس لاشابيل (Aix-La chapelle) 1818م:
19.....	ثالثا: الأطماع الأوروبية الاستعمارية:
19.....	أ- حملة الولايات المتحدة الأمريكية 1815م
23.....	ب- الحملة الإنجليزية - الهولندية 1816م
32.....	ج- الحملة الإنجليزية الثانية 1824م

الفصل الثاني

38.....	دور اليهود في تدهور النظام الحربي للجزائر
38.....	أولا: تغلغل اليهود في الوظائف المالية
38.....	أ- النشاط الاقتصادي لليهود في الجزائر
44.....	ب- دور شركة بكري وبوشناق في التجارة الخارجية للجزائر
53.....	ثانيا: دخول اليهود للوظائف الحكومية

الفصل الثالث

61.....	فقدان الجيش لأهميته
62.....	أولا: فشل سياسة التجنيد
65.....	ثانيا: تراجع أهمية التجنيد

الفصل الرابع:

73.....	انهيار إيالة الجزائر
73.....	أولا: مشاريع فرنسا لاحتلال الجزائر
75.....	ثانيا: الحصار البحري الفرنسي للسواحل الجزائرية
85.....	ثالثا: التدخل العسكري الفرنسي واستسلام الحكومة
98.....	خاتمة
101.....	قائمة المصادر والمراجع
110.....	فهرس الموضوعات

